الباب الثانى

الدراسة التطبيقية

١- الوظائف التركيبية والدلالية للوقف اللازم فى القرآن الكريم

٢- دلالة حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية

٣- التوحيد والعدل عند المعتزلة وأثرهما فى اللغة.

الفصل الأول

الوظائف التركيبية والدلالية للوقف اللازم

فى القرآن الكريم

مقدمة:

من الظواهر الصوتية التى اهتم بها علماؤنا القدماء اهتمامًا كبيرًا الوقف؛ فقد أفرد له علماء القراءات مؤلفات كاملة[1]، وتتبعوه موضعا موضعا فى القرآن الكريم كله، بعد أن عرفوا به، وحددوا أنواعه، وفصلوا القول فى أهميته فى توجيه المعنى والتأثير عليه.

وقبل الدخول فى الوقف اللازم لابد من التعريف بالوقف عند القراء، وتبيين أقسامه، وذكر بعض الضوابط التى ذكرها العلماء للوقف والابتداء، ولها صلة بالبحث.

أولاً: مفهوم الوقف عند القراء:

الوقف والقطع والسكت "عبارات يطلقها المتقدمون غالبا مرادًا بها الوقف، والمتأخرون **فرقوا فقالوا:**

القطع: عبارة عن قطع القراءة رأسا فهو كالانتهاء؛ فالقارئ كالمعرض عن القراءة، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها، وهو الذى يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية؛ لأن رءوس الآى فى نفسها مقاطع ..

والوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لابنية الإعراض، ويكون فى رءوس الآى وأوسطها، ولا يأتى فى وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسما.

---

(1) من هذه المؤلفات: المكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنبارى، والقطع والائتناف لأبى جعفر النحاس، ومنار الهدى فى الوقف والابتدا للأشمونى، والمقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء للشيخ زكريا الأنصارى، وغيرها كثير.

والسكت: عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس"[1] قال ابن الجزرى **في طيبته:**

والقطع كالوقف وبالآى شُــرط
والسكت من دون تنفس وخُصْ بذى اتصال وانفصال حيث نُص

ثانيًا أقسامه:

اختلف علماء القراءات فى أقسام الوقف اختلافًا بينا؛ فمنهم مــن جعلــه **قسمين:** تام، وقبيح، ومنهم من جعله **ثلاثة أقسام:** تام، وحسن، وقبيح، ومنهم من جعله أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جــائز، وحــسن مفهــوم، وقبــيح متروك، ومنهم من جعله خمسة أقسام: لازم، ومطلق، وجائز، ومجوز بوجه، ومرخص ضرورة.

ومنهم من جعله ثمانية أنواع: تام، وشبيه به وناقص وشبيه به، وحــسن، وشبيه به، وقبيح، وشبيه به، أو تام، وحسن، وكــاف، وصــالح، ومفهــوم، وجائز، وبيان، وقبيح[2].

ويرى ابن الجزرى (المتوفى٨٣٣هـــ) أن " أكثر ما ذكر الناس فى أقسامه غير منضبط ولا منحصر"[3] وأكثر أهل الأداء أن للوقف **أربعة أقسام عامــة هى**[4]:

١- **الوقف الاضطرارى**، وهو ما يعرض للقارئ بسبب ضيق نفس ونحوه، كعجز، أو نسيان، أو عطاس، أو سعال، فيقف على أى كلمة شاء، ثم يبتدئ بالكلمة الموقوف عليها إن صح الابتداء بها.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطى١/١١٥، وانظر: النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى١/٣٣٢-٣٣٤ ومنار الهدى فى بيان الوقف والابتدا ٨، ونهاية القول المفيد فى علم التجويد للشيخ محمــد مكــى نــصر ١٧٩، والهادى شرح طيبة النشر فى القراءات العشر للدكتور محمد سالم محيسن ١/١١٥.

(2) انظر: النشر١/٣١٧، والإتقان١/١١٠-١١٣، ومنار الهدى٨، ٩، والمقصد لتلخيص ما فى المرشد٥ -٨.

(3) النشر ١/٣١٧

(4) انظر: نهاية القول المفيد١٨٠،١٧٩، والبرهان فى تجويد القرآن للأستاذ محمد الصادق قمحاوى٥١، ٥٢.

٢- **الوقف الانتظارى**، وهو أن يقف القارئ على كلمة ليعطف عليها غيرها حين جمعه للروايات المختلفة فى قراءته للقراءات.

٣- **الوقف الاختبارى** [بالباء الموحدة]، وهو ما يقصد للامتحان، والتعليم لبيان المقطوع من الموصول، والثابت من المحذوف، ونحوه، ولا يوقف عليه إلا لحاجة؛ كسؤال ممتحن، أو تعليم قارئ كيف يقف إذا اضطر لذلك.

٤- **الوقف الاختيارى** [بالياء المثناة التحتية]، وهو أن يقصد لذاته من غير عروض سبب من الأسباب.

وهذا النوع من الوقف هو المقصود عند الإطلاق، وقد عنى به علماء القراءات عناية كبيرة، وقسموه من حيث اللفظ والمعنى إلى أقسام أشهرها ما ذكره ابن الجزرى[1]؛ **وهو أربعة أقسام:**

١- **التام:** هو ما يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده، ولا يتصل ما بعده بما قبله لا فى اللفظ ولا فى المعنى[2]، وأكثر ما يوجد هذا النوع فى رءوس الآى، وعند انقضاء القصص؛ مثل الوقف على قوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٥] والابتداء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[البقرة:٦].

٢- **الكافى:** هو الذى يحس الوقف عليه، والابتداء بما بعده، غير أن ما بعده متعلق بما قبله من جهة المعنى دون اللفظ؛ وسمى كافيا للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه[3].

ومن أمثلته الوقف على قوله تعالى:﴿ ...لا يؤمنون﴾[البقرة:٦]

والابتداء ﴿ختم الله على قلوبهم﴾[البقرة:٧].

---

(1) انظر: النشر ٣١٧/١، ٣١٨.

(2) انظر: النشر ٣١٧/١، ومنار الهدى٩، والمقصد لتلخيص ما فى المرشد ٦.

(3) انظر: النشر ٣١٧/١، ومنار الهدى١٠، والمقصد لتلخيص ما فى المرشد ٧.

٣- **الحسن:** هو الذى يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى، لكونه إما موصوفا والآخر صفة له، أو مبدلا منه والثانى بدلا، أو مستثنى منه والآخر مستثنى ونحو ذلك[١]؛ ومن أمثلته الوقف على قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:١]؛ وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٢]، وقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣]؛ لأن المراد مفهوم، والابتداء بـ (رب العلمين)، و(الرحمن الرحيم) و(مالك يوم الدين) قبيح، لأنها مجرورة تابعة لما قبلها[٢].

٤- **القبيح:** هو ما لم يتم معناه، لتعلقه بما بعده لفظا ومعني، ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه؛ لعدم الفائدة أو لفساد المعنى[٣].

ومن أمثلته الوقف على (باسم) من (باسم الله)، وعلى (الحمد) من (الحمد لله) وعلى (مالك) أو (يوم) من (مالك يوم الدين)، لأنه لا يعلم إلى أى شىء أضيف.

ومن أمثلة الوقف لفساد المعنى الوقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ وعلى قوله: ﴿فبهت الذى كفر و الله﴾.....

الوقف اللازم:

ألحق علماء الوقف نوعا آخر من الوقف بالأنواع السابقة، سموه وقف البيان، أو الوقف اللازم أو الواجب، ولا يمثل هذا النوع قسما قائما بذاته بل

---

(1) انظر: المقصد لتلخيص ما فى المرشد ٧، والبرهان فى تجويد القرآن٥٣.

(2) انظر: المقصد ٧.

(3) انظر: النشر ٣١٨/١، ومنار الهدى ٩، والمقصد ٨، والهادى شرح طيبة النشر ١١٤/١، ونهاية القول المفيد١٨٠.

هو متداخل مع التام والكافى والحسن **يقول ابن الجزري:** "من الأوقاف ما يتأكد استحبابه، لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد، وهذا هو الذى اصطلح عليه السجاوندى لازم، وعبر عنه بعضهم بالواجب، وليس معناه الواجب عند الفقهاء يعاقب على تركه كما توهمه بعض الناس، ويجيء هذا فى قسمى التام،والكافي،وربما يجئ فى الحسن"[1]

فمن التام الوقف على قوله: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾[يونس: ٦٥] والابتداء (إن العزة لله جميعا)، لئلا يوهم أن ذلك من قولهم .

ومن الكافى الوقف على قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٨] والابتداء (يخادعون) لئلا يوهم الوصفية حالا. ومن الحسن الوقف على قوله: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[التوبة:٤٠]، والابتداء (وأيده بجنود)، لأن الضمير فى (عليه) لأبى بكر، والضمير فى (أيده) للنبى ﷺ[2]، وهذا النوع من الوقف هو مجال هذا البحث وتطبيقاته .

ثالثًا: بعض ضوابط الوقف والابتداء:

ذكر علماء الوقف مجموعة من الضوابط العامة التى بها يضبطون عملية الوقف والابتداء، **من هذه الضوابط :**

١- لايوقف على كلمة تعلقت بما بعدها، وما بعدها من تمامها، وهذا الضابط سماه أحد الباحثين نظرية التلازم[3].

وقد ذكرعلماء الوقف الكلمات المتعلقة بما بعدها، وما بعدها من تمامها بالتفصيل يقول الأشمونى: " أعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها، وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها؛ كالمضاف دون المضاف إليه، ولا على المنعوت دون

---

(1) النشر ٣٢٤/١، وانظر: منار الهدى ١٠.

(2) انظر: النشر ٣٢٥/١، ٣٢٦.

(3) انظر: أثر الوقف على الدلالة التركيبية د. محمد يوسف حبلص ٧٧.

نعته ما لم يكن رأس آية، ولا على الشرط دون جوابه... ولا على الرافع دون مرفوعه، ولا على الناصب دون منصوبه، ولا على المؤكد دون توكيده، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه، ولا على البدل دون المبدل منه، ولا على إن أو كان أو ظن وأخواتهن دون اسمهن ولا اسمهن دون خبرهن، ولا على المستثنى منه دون المستثنى ... ولا يوقف على الموصول دون صلته، ولا على الفعل دون مصدره، ولا على حرف دون متعلقه ...ولا على الحال دون صاحبها ولا على المبتدأ دون خبره، ولا على المميز دون مميزه ولا على القسم دون جوابه ولا على القول دون مقوله، لأنهما متلازمان كل واحد يطلب الآخر..."[1]. ما ذكر فى هذا الضابط يبين أن ظاهرة الوقف "تتعلق إن جوازا، وإن منعا بقانون العلاقة بين وحدات أو عناصر التركيب اللغوي، وبدرجة قوة هذه العلاقة، أو ضعفها تكون درجة الجواز أو المنع، والأمر فى مجمله مرتبط بما يترتب على هذه العلاقات؛ أى بصحة المعنى واستقامته فيجوز الوقف، أو بعدم الصحة أو الخلل أو الفساد فيه فيمتنع الوقف"[2].

٢- كل ما فى القرآن الكريم من ذكر(الذين والذي) يجوز فيه الوصل بما قبله نعتا، والقطع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ حذف خبره إلا فى سبعة مواضع فإنه يتعين الابتداء بها، **وهى كالآتي**[3]:

أ- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ....﴾[البقرة:١٢١].

ب- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ...﴾[البقرة:١٤٦].

ج- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا...﴾[البقرة:٢٧٥].

د- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا...﴾[التوبة:٢٠].

---

(1) منار الهدى ١٧، ١٨، وانظر: النشر ٣٢٣/١.

(2) أثر الوقف على الدلالة التركيبية ٩٠.

(3) انظر: منار الهدى ١٩.

هـ- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وجُوهِهِمْ...﴾[الفرقان:٣٤]

و- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ...﴾[غافر:٧].

المواضع السابقة "لا يجوز وصلها بما قبلها؛ لأنه يوقع فى محظور"[١]

ز- قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾[الناس:٥] على أنه مقطوع عما قبله.

هذا، وقد تتبعت الوقف اللازم فى القرآن الكريم بقراءة حفص عن عاصم فوجدته ورد فى **الأنماط الآتية:**

أولاً: وقف يدفع اللبس فى عود الضمير:

١) قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨]. يلزم الوقف على قوله (سَبِيلاً) والابتداء (اتَّخَذُوهُ)؛ لأن الوصل يوهم عود الضمير فى (اتَّخَذُوهُ) على (سَبِيلاً) وهذا غير المراد؛ إذ الضمير فى (اتَّخَذُوهُ) يعود على العجل[٢]؛ فيكون المعنى: اتخذوا العجل وكانوا ظالمين.

٢) قال تعالى: ﴿... إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة:٤٠]. يلزم الوقف على قوله (عَلَيْهِ) عند من جعل الضمير فيه لأبى بكر الصديق، والابتداء (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ) لأن الضمير فيه للنبى ﷺ وهذا اختيار سعيد بن المسيب[٣]، ورجحه الأشمونى[٤]، أما من جعل الضميرين للنبى ﷺ فقد وصل، وهذا اختيار لجان مراجعة المصحف الشريف؛ والمعنى على الأول هكذا: فأنزل الله سكينته

---

(1) منار الهدى ١٩.

(2) انظر: منار الهدى ١٥١.

(3) انظر: النشر ٣٢٦/١.

(4) انظر: منار الهدى ١٦٥

على أبى بكر وأيد النبى بجنود، والمعنى على الثانى: فأنزل الله سكينته على النبى وأيد النبى بجنود.

٣) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[مريم:٣٥]. يلزم الوقف على قوله (وَلَدٍ)، والابتداء (سُبْحَانَهُ) حتى لا يوهم الوصل أن الضمير عائد على (وَلَدٍ) بل الضمير لله عز وجل؛ إذا المعنى: ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحان الله.

٤) قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي..﴾ [العنكبوت:٢٦]

يلزم الوقف على قوله (لُوطٌ) والابتداء (وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ)، لأن الوصل يوهم أن المهاجر هو لوط عليه السلام، والأمر ليس كذلك بل المهاجر هو إبراهيم عليه السلام[1] قال أبو حيان (المتوفى٧٥٤هـ): " والضمير فى (وَقَالَ) عائد على إبراهيم، وهو الظاهر ليتناسب مع قوله (ووهبنا له إسحاق)، وهو قول قتادة والنخعى "[2] وأخذ به الجمهور، " وقيل إنه للوط؛ أى وقال لوط: إنى مهاجر إلى ربى.... وعلى هذا فلا يتعين الوقف على لوط، بل يصح وصله بما بعده"[3]. والرأى هو الأول؛ لدلالة السياق المقالى عليه؛ وهو قوله فى الآية التالية لهذه الآية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا..﴾[العنكبوت:٢٧].

٥) قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٩)﴾[الفتح:٩]. يلزم الوقف على قوله (وَتُوَقِّرُوهُ) والابتداء (وَتُسَبِّحُوهُ)؛ "لئلا يوهم اشتراك عود الضمائر على شىء واحد؛ فإن الضمير فى الأولين

---

(1) انظر: معانى القرآن للفراء٢/٣١٦، والكشاف للزمخشرى ٣/٢٠٤.

(2) البحر لمحيط ٧/١٤٩.

(3) الفتوحات الإلهية للعجيلى ٣/٣٧٤، وانظر: تفسير القرطبى ٨/٥٠٥٥.

عائد على النبى ﷺ وفى الآخر عائد على الله عز وجل"[1]، وقد وقف أبو حاتم السجستانى على (وَتُوَقِّرُوه) " ووسمه بالتام، وقال: لأن التعزير والتوقير للنبى ﷺ والتسبيح لا يكون إلا لله تعالى"[2].

ورجح العجيلى (المتوفى١٢٠٤هـ) كون الضمائر الثلاثة لله عز وجل؛ لتكون على وتيرة واحدة[3]، وعلى هذا الرأى لا وقف على قوله (وَتُوَقِّرُوه)، وقد أخذت به لجان مراجعة المصحف الشريف.

ثانيًا: وقف يدفع توهم العطف:

١- قال تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٨٢)﴾[البقرة٨١، ٨٢]. يلزم الوقف على قوله (خَالِدُونَ) والابتداء (وَالَّذِينَ آمَنُوا)؛ لأن الوصل يوهم العطف[4]، وليس الأمر كذلك بل قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ جملة مستأنفة.

٢- قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٢١٢)﴾[البقرة: ٢١٢]. يلزم الوقف على قوله (آمَنُوا)؛ لئلا يوهم الوصل معنى غير المراد؛ وهو أن سخرية الكفار تقع على (الَّذِينَ آمَنُوا) وعلى)الَّذِينَ اتَّقَوْا) حالة كونهم فوقهم يوم القيامة، وهذا خطأ؛ لأن قوله:)الَّذِينَ اتَّقَوْا) من كلام الله ﷻ تأييدًا للمتقين، وإعلاء لشأنهم[5].

---

(1) النشر ٣٢٦/١.

(2) منار الهدى٣٦٤، وانظر: تفسير القرطبى ٦٠٨٧/٩.

(3) انظر: الفتوحات الإلهية ١٦٠/٤.

(4) انظر: البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٣٤٣/١، ومنار الهدى ٤٣، والمقصد ٤٣.

(5) انظر: الفتوحات الإلهية ١٦٨/١.

٣- قال تعالى: ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...﴾[آل عمران:٧]. الوقف على قوله تعالى (إِلاَّ اللَّهُ) وقف لازم، وفى بعض المصاحف[١] وضعت علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى (قلى)، وهذا مرجعه إلى الخلاف بين العلماء فى المتشابه، هل هو مما اختص الله ﷻ به نفسه ولا يعلمه أحد من خلقه أو أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله؟ الجمهور على أن المتشابه مما استأثر الله بعلمه؛ وهو قول ابن مسعود، وأبى، وابن عباس، وعائشة، والحسن، وعروة، وعمر بن عبد العزيز، وأبى نهيك الأسدى، ومالك بن أنس، والكسائى، والفراء، والجبائى، والأخفش، وأبى عبيد، واختاره الخطابى، والفخر الرازى"[٢].

وعلى هذا الرأى يكون قوله: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) جملة مستأنفة مكونة من مبتدأ (الرَّاسِخُونَ) وخبر (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) "وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم، واعتقاد الحقية بلا تكييف، وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به، واعتقاد حقية ما أراد الله به، ومعرفة قصور أفهام البشر عن الوقوف على مالم يجعل لهم إليه سبيلا"[٣]. ويعضد هذا الرأى قراءة أبى بن كعب وابن عباس (..إلا الله ويقول الراسخون فى العلم آمنا به)، وقراءة ابن مسعود (وابتغاء تأويله إن تأويله إلا عند الله والراسخون فى العلم يقولون)[٤].

---

(1) مصحف المدينة النبوية طبعة الملك فهد، والمصحف المعلم طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر.

(2) البحر المحيط ١/ ٣٨٤، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٣٣٩/٢، ٣٤٠، وتفسير القرطبى ١٢٥٨/٢، وتفسير النسفى ١٤٦/١، والفتوحات الإلهية ٢٤٣/١.

(3) تفسير النسفى ١٤٦/١، ١٤٧.

(4) انظر: معانى القرآن للفراء ١٩١/١، والمحرر الوجيز ٣٤٢/٢.

وعلى هذا الرأى يلزم الوقف على قوله (إِلاَّ اللَّهُ)، وهو "وقف السلف وهو أسلم؛ لأنه لا يصرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل منفصل"[1]

وأجاز بعضهم عطف (الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) على لفظ (الله)، مفسرين أن المتشابه هو ما للفكر والنظر فيه مجال[2]، قال ابن عطية (المتوفى٥٤١هـ): " قسم الله آى الكتاب **قسمين:**

محكمًا ومتشابها؛ فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه إلى نظر، ولا يتعلق بشيء يلبس، ويستوى فى علمه الراسخ وغيره، والمتشابه يتنوع؛ فمنه ما لا يعلم ألبتة؛ كأمر الروح، وآماد المغيبات التى قد أعلم الله تعالى بوقوعها، إلى سائر ذلك، ومنه ما يحمل على وجوه فى اللغة، ومناح فى كلام العرب، فيتأول، ويُعلم تأويله المستقيم، ويزال فيه عما عسى أن يتعلق به من تأويل غير مستقيم.

كقوله فى عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[3] إلى غير ذلك، ولا يسمى أحد راسخًا إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيرًا بحسب ما قدر له، وإلا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس يسمى راسخًا"[4].

وهذا التفسير للمتشابه الله ﷻ يعلمه كله على الكمال والاستيفاء أما الراسخون في العلم فإنهم يعلمون تأويله لا على الكمال، بل علمهم من النوع الثاني من المتشابه.

والمعنى على هذا التفسير: وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله والراسخون كل بقدره، وما يصلح له، وهم بحال قول فى جميعه آمنا بالله[5]، وهذا رأى

---

(1) منار الهدى ٧٠.

(2) انظر: تفسير النسفى ١٤٧/١، والفتوحات الإلهية ٢٤٣/١.

(3) النساء: ١٧١.

(4) المحرر الوجيز ٣٤٠/٢، ٣٤١، وانظر: تفسير القرطبى٢/ ١٢٦٠، والبحر المحيط ٢/ ٣٨٥.

(5) انظر: المحرر الوجيز ٣٤١/٢.

الخلف، وهو "أعلم؛ أى أحوج إلى مزيد علم؛ لأنهم أيدوا بنور من الله تعالى؛ لتأويل المتشابه بما يليق بجلاله"[1]

ويذهب السهيلى (المتوفى٥٨١هـ) مذهبًا ثالثًا يقول: "والذى أرتضيه من ذلك مذهب ثالث؛ وهو الذى قاله ابن إسحاق.. ومعناه أن الكلام قد تم فى قوله (وما يعلم تأويله إلا الله)، (والراسخون فى العلم) مبتدأ، لكن لا نقول: إنهم لا يعلمون تأويله كما قالت الطائفة الأولى، ولكن نقول: إنهم يعلمونه برد المتشابه إلى المحكم، وبالاستدلال على الخفى بالجلى، وعلى المختلف فيه بالمتفق عليه، فتنفذ بذلك الحجة، ويزاح الباطل، وتعظم درجة العالم عند الله تعالى؛ لأنه يقول: آمنت به كل من عند ربى فكيف يختلف؟! ولما كان العلمان مختلفين: علم الله، وعلم الراسخين فى العلم لم يجز عطف (الراسخون) على ما قبله؛ فالله يعلم تأويله العلم القديم[2]، لا بتذكر ولا بتفكر، ولا بتدقيق نظر، ولا بفحص عن دليل، فلا يعلم تأويله هكذا إلا الله، والراسخون فى العلم يعلمون تأويله بالفحص عن الدليل، وبتدقيق النظر، وتسديد العبر"[3].

وهذا هو الرأى؛ لأنه جمع بين الرأيين؛ حيث ألزم الوقف على قوله (إلا الله) وهذا رأى السلف، وفصل القول فى معرفة الراسخين بتأويل المتشابه مفرقا بين علمين: علم الله عز وجل، وعلم الراسخين فى العلم، وهذا شرح وتوضيح لرأى الخلف.

٤- قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً (١١٨)﴾[النساء١١٧،

---

(1) منار الهدى ٧٠.

(2) الأولى أن يقول العلم الأزلي.

(3) الروض الأنف ٣/ ٨، ٩.

١١٨]. يلزم الوقف على قوله (لَعَنَهُ اللَّهُ) والابتداء (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ)؛ لأن الوصل يوهم أن قوله (وقال لأتخذن) داخل فى قول الحق سبحانه، وهذا غير المراد؛ حيث إن الضمير فى (وقال) راجع إلى الشيطان؛ أى وقال الشيطان لأتخذن[١].

وجوز العكبرى (المتوفى٦١٦هـ) أن يكون قوله (وقال لأتخذن) معطوفا على قوله (لعنه الله)[٢]، وهو رأى مرجوح؛ والراجح أن قوله (وقال لأتخذن) جملة مستأنفة[٣]، وبهذا الرأى أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف، ووضعت علامة الوقف اللازم على قوله (لعنه الله).

٥- قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ..﴾ [المائدة:٢]. يلزم الوقف على قوله (تعتدوا) لانتهاء المعنى المراد؛ إذ المعنى: ولا يحملنكم بغض قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام من الاعتداء عليهم، ثم استؤنف كلام جديد؛ وهو الأمر بالتعاون على التقوى؛ والنهى عن التعاون على الإثم والعدوان[٤].

والوصل يوهم معنى غير المراد؛ حيث يجعل البغض حاملاً على الاعتداء، وعلى التعاون على البر والتقوى معًا، وهذا فيه تناقض وفساد واضح.

٦- قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾[المائدة:٧٣]. يلزم الوقف على قوله (ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) و" لا يجوز

---

(1) انظر: إملاء ما من به الرحمن للعكبرى ١٩٥/١، ومنار الهدى ١٠٧، والفتوحات الإلهية٤٢٦/١.

(2) انظر: إملاء ما من به الرحمن للعكبرى ١٩٥/١، وانظر: البحر المحيط ٣٥٣/٣.

(3) إملاء ما من به الرحمن للعكبرى ١٩٥/١، والفتوحات الإلهية ٤٢٦/١.

(4) انظر: تفسير القرطبى ٤/ ٢٠٤٣.

وصله بما بعده؛ لأنه يوهم السامع أن قوله (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) من قول النصارى الذين يقولون بالتثليث، وليس الأمر كذلك"[1].

ففى الوقف على (ثَلَاثَةٍ) إثبات لحكم الكفر على الذين يقولون بالتثليث ثم الاستئناف بجملة فيها حكم جديد فيه دفع للتثليث، وتأكيد لوحدانية الله.

أما الوصل فإنه يحدث تشريكا فى الحكم، ويوهم معنى غير المراد؛ وهو كون تلك المقولة المؤكدة للوحدانية من قول الكافرين، ويكون المعنى حينئذ: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وكذلك الذين قالوا: وما من إله إلا إله واحد؛ وهذا خطأ بين واضح.

٧- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[الأنعام:٣٦]. يلزم الوقف على قوله (يَسْمَعُونَ)؛ لأن الوصل يوهم معنى غير المراد؛ حيث يشرك الموتى فى الاستجابة؛ وهذا غير المراد، وعلى هذا الرأى يكون قوله (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ)، جملة مستأنفة مكونة من مبتدأ (الْمَوْتَى) وخبر (يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ)، وفى هذا تأكيد بأن "الموت والبعث حقيقة؛ وذلك إخبار من الله تعالى أن الموتى على العموم من مستجيب وغير مستجيب يبعثهم الله فيجازيهم على أعمالهم"[2].

ومن العلماء من عطف (الْمَوْتَى) على (الَّذِينَ يَسْمَعُونَ)؛ جاعلاً قوله (ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) جملة حالية، وعليه فلا وقف على قوله (يَسْمَعُونَ) ويكون المعنى: "إنما يستجيب الذين يسمعون سماع قبول فيؤمنون بأول وهلة، والكفار حتى يرشدهم الله تعالى ، ويوفقهم للإيمان، فلا تتأسف أنت ولا

---

(1) منار الهدى ١٢٣.

(2) البحر المحيط ١١٧/٤، وانظر: الفتوحات الإلهية٢٥/٢.

تستعجل ما لم يقدر"[1] وهذا القول يبعده قوله تعالى (ثم إليه يرجعون)[2] – ومنهم من وصل (والموتى) بما قبلها معربا (الموتى) مفعولا به لفعل مضمر يفسره الظاهر بعده، فيكون من قبيل عطف جملة الاشتغال على الجملة الفعلية قبلها، ولهذا نظير فى كتاب الله عز وجل؛ من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [3] بعد قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [4].

والرأى هو الأول، وبه أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف.

٨- قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]، و[النحل:٦١]. يلزم الوقف على قوله (ساعة) والابتداء (ولايستقدمون)؛ " لئلا يوهم العطف على جواب الشرط "[5] قال العجيلى (المتوفى١٢٠٤هـ): " قوله (ولايستقدمون) هذا مستأنف معناه الإخبار بأنهم لا يسبقون أجلهم المضروب لهم، بل لابد من استيفائهم إياه، كما أنهم لا يتأخرون عنه أقل زمان"[6].

والسبب فى الاستئناف أن "إذا إنما يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلة لا الماضية، والاستقدام بالنسبة إلى مجئ الأجل متقدم عليه، فكيف يترتب عليه؟"[7]. وأجاز الحوفى وغيره أن يكون قوله (ولا يستقدمون) معطوفًا على قوله (ولا يستأخرون) وهو ظاهر أقوال

---

(1) البحر المحيط ١١٨/٤.

(2) الفتوحات الإلهية ٢/ ٢٦

(3) الإنسان :٣١

(4) انظر: الفتوحات الإلهية ٢٥/٢، ٢٦.

(5) النشر: ٣٢٥/١، وانظر: الفتوحات الإلهية ١٣٧/٢.

(6) الفتوحات الإلهية ١٣٦/٢، ١٣٧.

(7) الفتوحات الإلهية ١٣٧/٢.

المفسرين[1]، وتفسيره " أن هذا بمنزلة المثل؛ أى لا يقصد من مجموع الكلام إلا أن الوقت تقرر لا يتغير ولا يتبدل وهو نظير قولهم: الرمان حلو حامض، يعنى فالجزاء مجموع الأمرين لا كل واحد على حدته"[2].

وقد أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف بالرأى الثانى؛ لذا جعلت علامة الوقف على قوله (ساعة) هى علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى (صلى).

٩- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]

يلزم الوقف على قوله (به) والابتداء (وهم بها)؛ لأنه "بهذا الوقف يتخلص القارئ من شئ لا يليق بنبى معصوم أن يهم بامرأة، وينفصل من حكم القسم قبله فى قوله (ولقد همت)، ويصير (وهم بها) مستأنفًا؛ إذ الهم من السيد يوسف منفى لوجود البرهان"[3]، كما أن الهم منها غير الهم منه؛ حيث إن همها كان هم مخالطة عن عزم وقصد وتصميم، وهمه كان ميلا نفسيا دون عزم وقصد[4] قال أبو حيان (المتوفى٧٥٤هـ): " والذى أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم ألبتة، بل هو منفى لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفتَ الذنب لولا أن عصمك الله .. وكقول العرب: أنت ظالم إن فعلت وتقديره: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله (أنت ظالم) على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجدًا لهم على تقدير: انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم"[5].

---

(1) انظر: الفتوحات الإلهية ٢/ ١٣٧.

(2) الفتوحات الإلهية ١٣٧/٢.

(3) منار الهدى ١٩٢، وانظر: نهاية القول المفيد ١٨٧.

(4) انظر: صفوة التفاسير للصابونى ١٢/٦ ،١٣.

(5) البحر المحيط ٢٩٥/٥، وانظر: الفتوحات الإلهية ٤٤٦/٢.

١٠- قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٧]. اختار بعضهم الوقف اللازم على قوله (فكذبت) "والابتداء (وهو من الصادقين) إشعارا بأن يوسف عليه السلام من الصادقين فى دعواه"[١] دائمًا، وليس فى هذا الموقف فقط.

١١- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[إبراهيم:٣٨]. يلزم الوقف على قوله (وما نعلن) والابتداء (وما يخفى على الله من شىء) "لئلا يوهم وصل (ما) وعطفها"[٢]، وقوله (وما يخفى على الله من شىء) مستأنف، لأنه من كلامه تعالى، وعلى هذا يكون معترضا بين كلامى إبراهيم عليه السلام، ويجوز الوصل على اعتبار أن قوله (وما يخفى على الله من شىء) من قول إبراهيم عليه السلام، وفيه وضع الظاهر (على الله) موضع المضمر (عليه) وهذا الرأى عليه الأكثرون من العلماء[٣]، وقد وضعت لجان مراجعة المصحف الشريف علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى (قلى) على قوله (نعلن) جمعا بين الرأيين.

١٢- قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[الإسراء:٨]. يلزم الوقف على قوله (عدنا) والابتداء (وجعلنا جهنم)، لأن الوصل يوهم معنى غير المراد، حيث إن المعنى: إن تبتم وانزجرتم عن المعاصي عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم إلى المعصية مرة ثالثة عدنا إلى العقوبة، هذا لهم فى الدنيا، ثم ذكر ما أعد

---

(1) النشر ٣٢٦/١.

(2) النشر ٣٢٥/١

(3) انظر: الفتوحات الإلهية ٥٣٠/٢ .

لهم فى الآخرة، وهو جعل جهنم لهم حصيرا[1]. فالوقف على قوله (عدنا) للفصل بين ما يحدث لهم في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة والوصل يوهم معنى غير المراد، وهو جعل جهنم للكافرين حصيرا مشروطا بعودة اليهود إلى المعاصي.

١٣- قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)﴾[الزمر:٣٢، ٣٣]. يلزم الوقف على قوله (للكافرين) والابتداء (والذى جاء بالصدق)، لأن العطف يوهم التشريك فى الحكم[2]، أى إدخال الذى جاء بالصدق مع الكافرين وهذا خطأ واضح.

١٤- قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[الشورى:٨]. يلزم الوقف على قوله (رحمته) والابتداء (والظالمون) ولا يجوز الوصل؛ لئلا يوهم التشريك في الحكم[3]، أى إدخال الظالمين في رحمة الله، وهذا غير المراد.

١٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾[محمد:٢٥]. من العلماء من جعل الوقف على قوله (سول لهم) لازما[4]، ومنهم من لم يجعله كذلك، والخلاف مرجعه إلى الخلاف في فاعل (أملى)، فالذين أوجبوا الوقف جعلوا فاعل (أملى) هو الله تعالى، والذين أجازوا الوصل جعلوا فاعل (أملى) هو

(1) انظر: منار الهدى ٢٢٢، والبحر المحيط ١١/٦، وتفسير البيضاوى ٥٦٥/١.
(2) انظر: النشر ٣٢٥/١، ومنار الهدى ٣٣٤.
(3) انظر: البرهان فى علوم القرآن ٣٤٨/١.
(4) انظر: البرهان فى علوم القرآن ٣٤٨/١.

الشيطان، والمعنى: مد لهم الشيطان فى الأمل، ووعدهم طول العمر[1]. وقد اختارت لجان مراجعة المصحف الشريف الوصل معتبرين فاعل (أملى) الشيطان.

١٦- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾[الحديد:٢٧]. الوقف على (ورحمة) "تام، ويبتدئ (ورهبانية ابتدعوها) أى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، فهو من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره؛ فالرهبانية لم تكتب عليهم، وإنما ابتدعوها ليتقربوا بها إلى الله تعالى"[2].

وهذا الرأى نحا إليه "الفارسى والزمخشرى وأبو البقاء وجماعة إلا أن هؤلاء يقولون إنه إعراب المعتزلة؛ وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الإنسان فهو مخلوق له؛ فالرأفة والرحمة لما كانت من فعل الله نسب خلقهما إليه، والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها إليه"[3].

ومنهم من أعرب (رهبانية) معطوفة على (رأفة) وبذلك لا يقف على (رحمة) وإنما يقف عل قوله: (رضوان الله)[4].

وعلى هذا الرأى تكون (جعل) بمعنى خلق أو بمعنى صير، و(ابتدعوها) صفة الرهبانية "وإنما خصت بذكر الابتداع؛ لأن الرأفة والرحمة فى القلب أمر غريزى لا تكسب للإنسان فيه بخلاف الرهبانية فإنها من أفعال

---

(1) انظر: تفسير القرطبى ٦٠٦٩/٩ .

(2) منار الهدى٣٨٥، وانظر: تفسير القرطبى ٦٤٣٣/٩.

(3) الفتوحات الإلهية ٢٩٦/٤، وانظر: البرهان فى علوم القرآن ٣٤٩/١، وإملاء ما من به الرحمن٢٥٧/٢، والبحر المحيط ٢٢٨/٨.

(4) انظر: منار الهدى ٣٨٥.

البدن وللإنسان فيها تكسب"[1]. وعلى هذا الخلاف، اختلفت علامات الوقف فى المصاحف؛ فالمصحف الذى طبعته دار ابن كثير بإذن من الدار الشامية للمعارف بدمشق جعل علامة الوقف اللازم على قوله (ورحمةۦ).

ومصحف الحرمين طبعة الأزهر الشريف جعل على قوله (ورحمةۦصلى) علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى.

ومصحف المدينة النبوية لم يضع أية علامة من علامات الوقف على قوله (ورحمة)، وكذلك المصحف المعلم طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر.

١٧- قال تعالى: ﴿... وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم:٤]. الوقف على قوله (هو مولاه) "كاف عند يعقوب، وقال نافع: تام؛ لأنه انقضاء نعتهن، وما بعده مستأنف، يريد أن مولى النبى ﷺ هو الله تعالى؛ كقوله: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[2] ثم قال تعالى: (وجبريل) على الابتداء والخبر (ظهير) قاله أبو العلاء الهمدانى، والأكثر على أن الوقف على (وصالح المؤمنين) ثم يبتدئ (والملائكة)"[3].

وقد أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف برأى الأكثرية، وجعلت علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى (صلى) على قوله (المؤمنين).

---

(1) الفتوحات الإلهية ٢٩٦/٤.

(2) الأنفال:٤٠ .

(3) منار الهدى ٣٩٧، وانظر: البرهان فى علوم القرآن٣٤٩/١.

ثالثًا: وقف يدفع توهم الوصفية:

١- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾[البقرة ٨، ٩].

يلزم الوقف على قوله (بمؤمنين) والابتداء (يخادعون)؛ "لأنه لو وصل لصار التقدير: وما هم بمؤمنين مخادعين، فينتفى الوصل؛ كقولك: ما هو برجل كاذب، والمراد نفى الإيمان عنهم، وإثبات الخداع لهم. ومن جعل (يخادعون) حالاً من الضمير فى (يقول) والعامل فيها (يقول)، والتقدير: يقول آمنا بالله مخادعين أو حالاً من الضمير فى (بمؤمنين) والعامل فيها اسم الفاعل، والتقدير وما هم بمؤمنين فى حال خداعهم – لا يقف. والوجه الأول"[1].

٢- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا...﴾[البقرة:٢٦]. يلزم الوقف على قوله (مثلا) وعدم وصله بما بعده، حتى لا يوهم الوصل أن ما بعده صفة له، وليس كذلك[2]، يقول أبو حيان فى قوله: (يضل به كثيرًا ويهدى به كثيرًا)؛ "جملتان مستأنفتان جاريتان مجرى البيان والتفسير للجملتين السابقتين، وجعل ذلك صفة لـ(مثلا) بعيد جدا؛ إذ يكون من كلام الكفار"[3].

٣- قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾[البقرة:٢٥٣]. يلزم الوقف على قوله (بعض)، والابتداء (منهم من كلم الله) على أنها جملة مستأنفة؛ لأنه "لو وصل

---

(1) تفسير النسفى ١٩/١، وانظر: إملاء ما من به الرحمن ١٦/١، ١٧، البحر المحيط ٥٦/١، والإتقان ١١١/١، ومنار الهدى٣٣.

(2) انظر: تفسير النسفى ٣٦/١.

(3) النهر الماد ١٢٢/١، وانظر: تفسير البيضاوى ٤٥/١، والفتوحات الإلهية ٣٣/١.

لصار الجار وما عطف عليه صفة لبعض، فينصرف الضمير فى بيان المفضل بالتكليم إلى بعض؛ فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم"[1].

٤- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٧١]. يلزم الوقف على قوله (ولد)، والابتداء (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، ولا يجوز الوصل لأنه يجعل قوله(لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) صفة لقوله (ولد) وهذا غير المراد يقول الأشمونى: "ولد: تام ولا يجوز وصله بما بعده؛ لأنه لو وصله لصار صفة له، فكان المنفى ولدا موصوفًا بأنه يملك السماوات والأرض والمراد نفى الولد مطلقا"[2].

٥- قال تعالى ﴿...وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ...﴾[المائدة:٤١]. يلزم الوقف على قوله (لم يأتوك) والابتداء (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) على الاستئناف "فإن جعل (يحرفون) فى موضع جر نعتا (لقوم آخرين) أى لقوم آخرين محرفين لم يوقف على ما قبله، وكذا إن جعل فى موضع نصب حالاً من (الذين هادوا) لم يوقف على ما قبله"[3].

وهذا الخلاف كان سببا فى اختلاف علامات الوقف فى المصاحف؛ فمصحف الحرمين أخذت اللجنة التى قامت بمراجعته بالرأى الأول؛ لذا وضعت علامة الوقف اللازم على قوله (لم يأتوكَ)، ومصحف المدينة

---

(1) منار الهدى ٦٣، وانظر: النشر ٢٢٥/١.

(2) منار الهدى١١٣، وانظر: الإتقان١١١/١.

(3) منار الهدى ١٢٠، وانظر: إملاء ما من به الرحمن ٢١٥/١، ٢١٦، وتفسير البيضاوى ٢٦٦/١.

النبوية والمصحف المعلم أخذت لجنة كل منهما بالرأى الثانى؛ لذا وضعت علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى على قوله (يأتوك).

٦- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾[المائدة:٥١]. يلزم الوقف على قوله (أولياء)؛ "لأنه لو وصل لصارت الجملة صفة لأولياء، فيكون النهى عن اتخاذ أولياء صفتهم أن بعضهم أولياء بعض، فإذا انتفى هذا الوصف جاز اتخاذهم أولياء، وهو محال، وإنما النهى عن اتخاذهم أولياء مطلقًا"(١).

٧- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام:٢٠]. يلزم الوقف على قوله (أبناءهم) والابتداء (الذين خسروا أنفسهم) على الاستئناف، أما إن جعل (الذين خسروا) نعتا لقوله (الذين آتيناهم) أو بدلا منهم، فلا وقف على قوله (أبناءهم)(٢).

وقد أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف بالرأى الأول ما عدا المصحف الذى طبعته دار ابن كثير بإذن من الدار الشامية للمعارف الطبعة العاشرة ١٤٠٨هـ فإنها أخذت بالرأى الثانى ووضعت علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطرفين على قوله (أبناءهمج)، علما بأن الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ لهذا المصحف أخذت بالرأى الأول، ووضعت علامة الوقف اللازم على قوله (أبناءهمم).

٨- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ... ﴾[هود:٢٠]. يلزم الوقف على قوله

---

(1) منار الهدى ١٢١.

(2) انظر: تفسير القرطبى ٢٣٩٧/٤، والبحر المحيط ٨٣/٤، ومنار الهدى ١٢٨، ١٢٩.

(أولياء) والابتداء (يضاعف لهم العذاب)، لأن الوصل يوهم الوصفية[1] أى جعل (يضاعف لهم العذاب) صفة لقوله (أولياء)، ويكون المعنى حينئذ: وما كان لهم من دون الله من أولياء موصوفين بمضاعفة العذاب لهم، وهذا المعنى غير المراد؛ لأن الجملة الأولى نفى الله فيها أن يكون لهم أولياء ينصرونهم من دون الله، ثم استؤنفت جملة تبين مضاعفة العذاب لهؤلاء الكافرين لا لأوليائهم. وعلى هذا تكون جملة (يضاعف لهم العذاب) جملة استئنافية إخبارا عن حال الكافرين فى الآخرة[2].

٩- قال تعالى: ﴿... وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...﴾[القصص:٨٨]. يلزم الوقف على قوله (آخر)؛ "لأنه لو وصل لصار (لا إله إلا هو) صفة (إلها آخر)، وفيه من الفساد ما فيه"[3]؛ حيث يجعل المعنى: لا تدع مع الله إلها آخر موصوفا بأنه لا إله إلا هو، وهذا غير المراد، أما الوقف فيجعل المعنى ذا شقين: **الأول:** النهى عن اتخاذ إله آخر مع الله عز وجل.

والآخر: تأكيد لألوهيته جل جلاله، وهذا هو المراد.

١٠- قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[السجدة:١٨]

يلزم الوقف على قوله (فاسقا)؛ لأن النبى ﷺ كان يتعمد الوقف عليه، والابتداء (لَّا يَسْتَوُونَ)[4]، وعلى هذا الرأى يكون قوله (لَّا يَسْتَوُونَ) جملة مستأنفة[5]. وجعل الأشمونى الوقف على قوله (فاسقا) جائزًا؛ "لانتهاء الاستفهام .. وإن كان التمام على (لايستوون)؛ لأنه لما استفهم منكرا بقوله: (أفمن

---

(1) انظر: النشر ٣٢٥/١.

(2) انظر: البحر المحيط ٢١٢/٥، وتفسير البيضاوى ٤٥٣/١، والفتوحات الإلهية ٣٨٨/٢.

(3) تفسير النسفى ٣/ ٢٤٩، وانظر: النشر ٣٢٥/١، ومنار الهدى٢٩٤.

(4) انظر: منار الهدى ٣٠٥، والفتوحات الإلهية ٤١٧/٣، ٤١٨.

(5) انظر: إملاء ما من به الرحمن ١٩٠/٢

كان مؤمنا كمن كان فاسقا) نفى التسوية، ثم أكد النفى بقوله (لا يستوون)"[1]

وقد أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف برأى الأشمونى، ووضعت علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطرفين على قوله (فاسقاً).

١١- قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٢] يلزم الوقف على قوله (شىء) والابتداء (لا إله إلا هو)؛ لأن الوصل يجعل قوله (لا إله إلا هو) "صفة لشىء؛ وهذا خطأ ظاهر"[2].

ويجوز أن يعرب قوله (لا إله إلا هو) خبرا رابعا لقوله (ذلكم)[3]، وعليه يجوز الوصل وبه أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف، ولم تضع أية علامة للوقف على قوله (شىء).

١٢- قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر:٣، ٤]. يلزم الوقف على قوله (شهر) والابتداء (تنزل الملائكة) مستأنفا لئلا يوهم النعت[4].

رابعًا: وقف يدفع توهم البدلية:

١- قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾[النساء:١٥٧]. يلزم الوقف على قوله (مريم) والابتداء (رسول الله)؛ لأن الوصل يوهم أن يكون (رسول) بدلا من (المسيح)، وهذا يؤدى معنى غير المراد؛ وهو أن اليهود يقرون بأن

---

(1) منار الهدى ٣٠٥.

(2) منار الهدى ٣٤٠.

(3) انظر: تفسير البيضاوى٢/٣٤٤، وتفسير النسفى ٨٣/٤، والفتوحات الإلهية ٢٢/٤.

(4) النشر: ٣٢٥/١.

عيسى رسول الله، وليس الأمر كذلك[1]، بل إن (رسول) منصوب بفعل محذوف؛ أى أمدح رسول الله، وعلى هذا التقدير يكون (رسول الله) من كلامه تعالى لمدحه وتنزيهه عن مقالتهم فيه[2].

ومن العلماء من أجاز الوصل على معنى أن اليهود " لم يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء؛ كقول الكفار لرسولنا: (يَأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[3]"[4].

وقد أخذت لجان مراجعة المصحف الشريف بالرأى الثانى؛ لذا لم تضع علامة وقف على قوله (مريم).

٢- قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ..﴾[الأنعام:١٢٤]. الوقف على قوله (رسل الله) لازم؛ لأن الكلام قد تم؛ حيث إنه حكاية كلام الكفار عن الرسل، والتعبير بـ (رسل الله) ليس إقرارا بالرسل من الله، وإنما قالوا ذلك على سبيل التهكم والاستهزاء[5].

وقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) "كلام مستأنف للإنكار عليهم، وألا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها، وهو أعلم بالمكان الذى يضعها فيه منهم"[6].

٣- قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا..﴾[الحشر ٧،٨].

---

(1) انظر: منار الهدى ١٢، ١٣

(2) انظر: الفتوحات غلإلهية ٤٤٣/١.

(3) الحجر:٦.

(4) تفسير النسفى ٢٦١/١، ٢٦٢، وانظر: البحر المحيط ٣٨٩/٣.

(5) انظر: البحر المحيط ٢١٦/٤.

(6) الكشاف ٤٨/٢، ٤٩، وانظر: البحر المحيط ٢١٦/٤، وتفسير البيضاوى ٣٢٠/١.

الوقف على قوله (العقاب) "تام، وينبغى هنا سكتة لطيفة، ولا يوصل بما بعده خشية توهم أن شدة العقاب للفقراء، وليس كذلك، بل قوله (للفقراء) خبر مبتدأ محذوف؛ أى والفىء المذكور للفقراء، أو بتقدير فعل، أى ما ذكرنا من الفئ يصرف للفقراء"[1]، أو اعجبوا[2].

ويجوز الوصل إذا أعربنا (للفقراء) بدلا من (لذى القربى) وما عطف عليه[3].

خامسًا: وقف يدفع توهم الحالية:

١- قال تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مريم٨٦، ٨٧]. يلزم الوقف على قوله (وردا)؛ "لئلا تشتبه الجملة بعدُ التى لنفى شفاعة معبوداتهم، وردًّا لقولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله)[4] بالوصف لهم بالجملة"[5]؛ وعلى هذا الرأى يكون قوله (لا يملكون الشفاعة) "جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها، والواو واقعة على الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم"[6].

سادسًا: وقف يدفع توهم المفعولية:

١) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة:١١٦]. يلزم الوقف على قوله (ولدا)، والابتداء

---

(1) منار الهدى ٣٨٨، وانظر: نهاية القول المفيد١٨٤، ١٨٥.

(2) الفتوحات الإلهية ٤/ ٣١٥.

(3) انظر: الكشاف٤/٨٣، وإملاء ما من به الرحمن ٢/٢٥٨، والبحر المحيط ٨/٢٤٦، ٢٤٧، وتفسير البيضاوى٢/٤٨١، وتفسير النسفى ٤/٢٤٠، ٢٤١.

(4) يونس: ١٨

(5) منار الهدى ٢٤٠، وانظر: النشر ١/٣٢٥.

(6) الفتوحات الإلهية ٣/٧٩، وانظر: البحر المحيط ٦/٢١٧.

(سبحانه)؛ لأن الوصل يوهم أن قوله (سبحانه) من قولهم، وليس كذلك[1]، بل هو من قول المولى عز وجل.

٢- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨]. يلزم الوقف على قوله (قولهم) لانتهاء كلام الذين مضوا من مشركى قريش أو العرب أو اليهود والنصارى، واستئناف كلام جديد يقرر فيه الحق سبحانه تشابههم جميعًا فى الصفات الذميمة[2].

أما الوصل فيوهم أن قوله (تشابهت قلوبهم) من مقول الكافرين أو اليهود والنصارى، وهذا معنى غير المراد يدفعه لزوم الوقف.

٣- قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾[آل عمران:١٨١]. يلزم الوقف على قوله (أغنياء)؛ لأن الوصل يوهم أن قوله (سنكتب ما قالوا) من مقولهم، وليس كذلك، بل هو إخبار من الله عن الكفار[3].

٤- قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾[المائدة:٦٤]. يلزم الوقف على قوله (بما قالوا) "ولا يجوز وصله بما بعده؛ لأنه يصيّر قوله (بل يداه مبسوطتان) من مقول اليهود، ومفعول (قالوا) وليس كذلك، بل هو رد لقولهم: (يد الله مغلولة)"[4].

---

(1) انظر: : النشر ١/ ٣٢٥

(2) انظر: تفسير القرطبى ٤٧٩/١، والبحر المحيط ٣٦٧/١، وتفسير البيضاوى٨٤/١.

(3) انظر: منار الهدى٩٣.

(4) منار الهدى ١٢٢.

٥- قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)﴾[يونس:٦٥]. يلزم الوقف على قوله (قولهم) والابتداء (إن العزة لله)؛ لأن الوصل يوهم أن قوله (إن العزة لله جميعًا) من قولهم[1]، يقول الأشمونى: " وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقول المشركين؛ إذ لو قالوا ذلك لم يكونوا كفارا، ولما حزن النبى ﷺ بل هو مستأنف ليس من مقولهم "[2].

٦- قال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[يونس:٦٨]. يلزم الوقف على قوله (ولدا) والابتداء (سبحانه)؛ "لئلا يوهم أنه من قولهم"[3].

٧- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]. يلزم الوقف على قوله (ولدا) والابتداء (سبحانه)؛ لئلا يوهم الوصل أنه من قولهم.

٨- قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[يس:٧٦]. الوقف على قوله (قولهم) "تام عند الفراء وأبى حاتم؛ لانتهاء كلام الكفار، لئلا يصير (إنا نعلم) مقول الكفار الذى يحزن النبى ﷺ"[4].

٩- قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون:١]. يلزم الوقف على قوله (لرسول الله) "ولا يجوز وصله؛ لأنه لو وصله لصار قوله (والله يعلم

---

(1) انظر: النشر ٣٢٥/١.

(2) منار الهدى ١٧٨، وانظر: إملاء ما من به الرحمن ٣٠/٢، والفتوحات الإلهية ٣٦١/٢.

(3) النشر ٣٢٥/١.

(4) منار الهدى٣٢١، ٣٢٢.

إنك) من مقول المنافقين، وليس الأمر كذلك، بل هو رد لكلامهم أن رسول الله غير رسول، فكذبهم الله بقوله: والله يعلم إنك لرسوله"[1].

سابعًا: وقف يدفع توهم العامل السابق:

١- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾[البقرة:٢٤٦]. يلزم الوقف على قوله (موسى) والابتداء (إذ قالوا)؛ لأن الوصل يوهم أن العامل فيه (تر)[2] "وهو محال... بل العامل فيها محذوف"[3].

٢- قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ...﴾[المائدة:٢٧]. يلزم الوقف على قوله (بالحق)، والابتداء (إذ قربا قربانا)؛ لئلا يوهم أن العامل فى (إذ) الفعل (اتل)، بل العامل فيها محذوف تقديره: اذكر[4]

٣- قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ...﴾[يونس:٧١]. يلزم الوقف على قوله (نوح) والابتداء (إذ قال)؛ لئلا يوهم الوصل أن العامل فى (إذ) الفعل (اتل)، بل العامل فيها محذوف تقديره: اذكر إذ قال[5] " ولا يجب نصب (إذ) باتل لفساده؛ إذ (اتل) مستقبل، و(إذ) ظرف لما مضى"[6].

---

(1) منار الهدى ٣٩٣.

(2) انظر: النشر ٣٢٦/١.

(3) منار الهدى ٦٢.

(4) انظر: النشر ٣٢٦/١، ومنار الهدى ١١٨.

(5) انظر: تفسير النسفى ١٧١/٢، والنشر ٣٢٦/١.

(6) منار الهدى ١٧٨، ١٧٩.

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[الدخان:١٥، ١٦]. يلزم الوقف على قوله (عائدون) والابتداء (يوم نبطش)؛ لأن الوصل يوهم أن العامل في (يوم) هو (عائدون) يقول الأشمونى :"ولا يجوز أن ينصب بعائدون ،ولا بمنتقمون؛ لأن ما بعد (إن) لا يعمل فى شىء مما قبله،ولو وصله لصار (يوم نبطش) ظرفا لعودهم إلى الكفر، إذ يوم بدر أو يوم القيامة العود إلى الكفر فيهما غير ممكن"[١]

٥- قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾"[القمر ٦]. يلزم الوقف على قوله (عنهم) والإبتداء (يوم يدع الداع) لئلا يوهم الوصل أن قوله (يوم يدع) ظرف للفعل (فتول)، وليس كذلك، بل هو ظرف لمحذوف، تقديره: اذكر، أو ظرف ليخرجون بعده، أو ظرف لقوله(تغن) ويكون قوله (فتول عنهم) اعتراضا[٢]، يقول الأشمونى: "(فتول عنهم) تام عند أبى حاتم، ولا يجوز وصله؛ لأنه لو وصل بما بعده صار(يوم يدع) ظرفا للتولى عنهم وليس كذلك، بل هو ظرف (يخرجون) والمعنى عندهم على التقديم والتأخير؛ أى يخرجون من الأجداث يوم يدع الداع، فإذا كان كذلك، فالتام (فتول عنهم)، لأن الظرف إذا تعلق بشيء قبله لم يوقف على ما قبله، فلا يوقف على (شىء نكر)، وكذا لا يوقف على (أبصارهم)؛ لأن خاشعا أو خشعا منصوب على الحال من الضمير في (يخرجون)؛ أى يخرجون خشعا أبصارهم يوم يدع الداع"[٣].

---

(1) منار الهدى ٣٥٤.

(2) انظر: الكشاف ٣٦/٤وتفسير القرطبى ٦٢٩٩/٩وتفسير البيضاوى ٤٤٦/٢ والفتوحات الإلهية ٢٤٢/٤.

(3) منار الهدى ٣٧٦، ٣٧٧.

ثامنا: الوقوف قبل إن ولو الشرطيتين:

اختلفت المصاحف المطبوعة برواية حفص عن عاصم فى وضع علامات الوقف قبل (إن ولو) **الشرطيتين كالآتى:**

الرقم	الآية	مصحف الحرمين طبعة الأزهر	مصحف الشمرلى طبعة الأزهر	المصحف المعلم طبعة وزارة التربية والتعليم	مصحف المدينة النبوية طبعة الملك فهد	مصحف دار المعارف الشامية دمشق
١	قال تعالى: ﴿..لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]	مـ	مـ	ج	ج	ج
٢	قال تعالى: ﴿.. لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٠٣]	مـ	مـ	صلى	صلى	ج
٣	قال تعالى: ﴿.. وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٤]	مـ	مـ	صلى	صلى	صلى
٤	قال تعالى: ﴿.. وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠]	مـ	مـ	صلى	صلى	صلى
٥	قال تعالى: ﴿.. فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١]	مـ	مـ	صلى	صلى	صلى
٦	قال تعالى: ﴿.. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]	-	-	-	-	-

م	الآية	مصحف الحرمين طبعة الأزهر	مصحف الشمرلي طبعة الأزهر	المصحف المعلم طبعة وزارة التربية والتعليم	مصحف المدينة النبوية طبعة الملك فهد	مصحف دار المعارف الشامية دمشق
٧	قال تعالى: ﴿.. ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٤١]	-	-	-	-	-
٨	قال تعالى: ﴿.. وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢]	-	-	-	-	-
٩	قال تعالى: ﴿.. قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١]	ج	ج	ج	ج	ج
١٠	قال تعالى: ﴿.. بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود:٨٦]	-	-	-	-	-
١١	قال تعالى: ﴿.. وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤١]	مـ	مـ	ج	ج	ج
١٢	قال تعالى: ﴿.. إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٩٥]	-	-	-	-	-
١٣	قال تعالى: ﴿.. إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨]	-	-	-	-	-

رقم الآية	الآية	مصحف الحرمين طبعة الأزهر	مصحف الشمرلي طبعة الأزهر	المصحف المعلم طبعة وزارة التربية والتعليم	مصحف المدينة النبوية طبعة الملك فهد	مصحف دار المعارف الشامية دمشق
١٤	قال تعالى: ﴿.. قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[المؤمنون:٨٤]	مد	مد	–	–	–
١٥	قال تعالى: ﴿.. وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:٨٨]	مد	مد	–	–	–
١٦	قال تعالى: ﴿.. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤]	مد	مد	صلى	صلى	صلى
١٧	قال تعالى: ﴿.. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٨]	مد	مد	صلى	صلى	صلى
١٨	قال تعالى: ﴿.. إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء:١١٣]	صلى	مد	صلى	صلى	صلى
١٩	قال تعالى: ﴿.. ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:١٦]	مد	مد	–	–	–
٢٠	قال تعالى: ﴿.. وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.﴾[العنكبوت:٤١]	مد	مد	صلى	صلى	صلى

الرقم	الآية	مصحف الحرمين طبعة الأزهر	مصحف الشمرلي طبعة الأزهر	المصحف المعلم طبعة وزارة التربية والتعليم	مصحف المدينة النبوية طبعة الملك فهد	مصحف دار المعارف الشامية دمشق
٢١	قال تعالى: ﴿.. وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:٦٤]	مـ	مـ	ج	ج	ج
٢٢	قال تعالى: ﴿.. وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٢٦]	مـ	مـ	ج	ج	ج
٢٣	قال تعالى: ﴿.. رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الدخان:٧]	مـ	مـ	صلى	صلى	صلى
٢٤	قال تعالى: ﴿.. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف:١١]	مـ	–	–	–	–
٢٥	قال تعالى: ﴿.. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩]	مـ	–	–	–	–
٢٦	قال تعالى: ﴿.. وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[القلم:٣٣]	مـ	صلى	ج	ج	ج
٢٧	قال تعالى: ﴿.. إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[نوح:٤]	مـ	صلى	صلى	صلى	صلى

الاختلافات السابقة فى علامات الوقف قبل(إن ولو)الشرطيتين مرجعها إلى اختلاف التقديرات حول المعنى والإعراب؛ حيث إن من العلماء من اعتبر أن الكلام السابق على الشرط لا يصح أن يكون جوابا، أو دليلا على الجواب؛ لذا جعلوا الوقف لازما بقول أبو حيان(المتوفى٧٥٤هـ) " وقوله (لو كانو يعلمون) ليس مرتبطا بقوله: ﴿إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ لأن كل أحد يعلم ذلك، فلا يقال فيه :لو كانوا يعلمون، وإنما المعنى: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه، وما اتخذوا الأصنام آلهة "[1].

ويقدر القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ) جوابا للشرط بعيدا عن المتقدم، فيقول فى قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[الدخان:٧]: " إن كنتم موقنين به فاعلموا أن له أن يرسل الرسل ،وينزل الكتب"[2].

ومن العلماء من اعتبر السابق على أداة الشرط جوابا كما يقول الكوفيون،أو دليلا على الجواب كما يقول البصريون[3]، لذا وصلوا ولم يضعوا علامة وقف ، أو وضعوا علامة الوقف الجائز جوازا مستوى الطرفين (ج)، أو الجائز مع كون الوصل أولى (صلى).

ونظرا لاختلاف العلماء فى الكلام السابق على (إن ولو) الشرطيتين اختلفت تقديرات لجان مراجعة المصاحف السابقة فى تحديد الوقوف بحسب ما اقتضته المعانى التى ظهرت لها، مسترشدة فى ذلك بأقوال الأئمة من المفسرين وعلماء الوقف والابتداء .

---

(1) البحر المحيط ١٥٢/٧، وانظر: الكشاف ٢٠٦/٣.

(2) تفسير القرطبى ٥٩٤٩/٩، وانظر: الفتوحات الإلهية ١٠١/٤، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٨٨، ٤١٠

(3) انظر: مغنى اللبيب ٦٤٧/٢، ٦٤٨، والتصريح ٢٥٢/٢، ٢٥٣، وشرح الأشمونى ٣٠/٤، والنحو الوافى ٤٥٠/٤ وما بعدها.

الخلاصة

وضح من البحث أن العلماء المتقدمين كانوا يطلقون على الوقف أسماء ثلاثة هي: الوقف، والقطع، والسكت، أما المتأخرون ففرقوا بين الثلاثة، حيث جعلوا القطع: عبارة عن قطع القراءة رأسا فهو كالانتهاء، والوقف:عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، والسكت: عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس .

اختلف علماء القراءات في أقسام الوقف اختلافا بينا لكن أكثر أهل الأداء جعلوه أربعة أقسام عامة هى: الوقف الاضطرارى، والوقف الانتظارى، والوقف الاختبارى، والوقف الاختيارى، والقسم الأخير هو المقصود عند الإطلاق وقد قسمه العلماء من حيث اللفظ والمعنى إلى أقسام أشهرها: التام،والكافي، والحسن، والقبيح.

الوقف اللازم أو وقف البيان أو الواجب ليس قسما قائما بذاته بل هو متداخل مع التام، والكافي، والحسن، وهو الذي لو وصل طرفاه لأوهم معني غير المراد.

أثبت في هذا البحث ضابطين من الضوابط التي وضعها العلماء للوقف والابتداء، الأول يطلق عليه نظرية التلازم، وفيها لا يجوز الوقف علي أحد المتلازمين دون الآخر، مثل: المضاف والمضاف إليه، والمنعوت ونعته، والشرط وجوابه ....إلخ، والآخر: القواعد العامة لكلمتي (الذين والذى) في القرآن الكريم.

جمعت الوقف اللازم في القرآن الكريم ، وقسمته إلي **<u>أنماط مختلفة هي:</u>**

١- وقف يدفع اللبس فى عود الضمير.

٢- وقف يدفع توهم العطف.

٣- وقف يدفع توهم الوصفية.

٤- وقف يدفع توهم البدلية.

٥- وقف يدفع توهم الحالية.

٦- وقف يدفع توهم المفعولية.

٧- وقف يدفع توهم العامل السابق.

٨- الوقف قبل (إن ولو) الشرطيتين.

وقد خلصت من هذا **البحث بالآتي:**

١- الوقف ظاهرة صوتية لها أثرها على التركيب والدلالة معا.

٢- اختلف العلماء فى وضع علامة للوقف فى بعض المواضع؛ منهم من وضع علامة الوقف اللازم، ومنهم من جعلها علامة الوقف الجائز، بل إن منهم من وصل دون وضع علامة فى بعضها؛ والسبب فى ذلك يرجع إلى المعنى، أو إلى المعنى والإعراب.

٣- الوقف قبل (إن ولو) الشرطيتين من العلماء من وضع قبلهما علامة الوقف اللازم، ومنهم من وضع علامة الوقف الجائز،وفى بعض المواضع لم توضع أية علامة للوقف، والسبب فى ذلك راجع إلى اختلاف العلماء فى الكلام السابق على جملة الشرط، منهم من لم يعتبره صالحًا لأن يكون جوابًا للشرط، أو دليلا عليه؛ أى أن الشرط عندهم منقطع عما قبله؛ لذا وضعوا علامة الوقف اللازم.

ومنهم من جعل الكلام السابق دليلا على الجواب المحذوف – كما هو رأى البصريين– لذا اختاروا وضع علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى (صلى) أو لم يضعوا علامة الوقف.

** ** ** **

المصادر والمراجع

١- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، ط٤، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢- أثر الوقف على الدلالة التركيبية للدكتور محمد يوسف حبلص، طبعة دار الثقافة العربية- القاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣- إملاء ما من به الرحمن للعكبرى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، ط٢، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٥- البرهان فى تجويد القرآن للأستاذ محمد الصادق قمحاوى، طبعة مكتبة جمهورية مصر، القاهرة (بدون تاريخ).

٦- البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٧- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة (بدون تاريخ).

٨- تفسير البيضاوى المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى، ط١، دار البيان العربى، القاهرة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٢م.

٩- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن)، دار الريان للتراث، بتصريح من دار الشعب، القاهرة (بدون تاريخ).

١٠-تفسير النسفى لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه (بدون تاريخ).

١١-الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام للإمام السهيلى، وضع حواشيه مجدى بن منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).

١٢-شرح الأشمونى بحاشية الصبان، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه (بدون تاريخ).

١٣-صفوة التفاسير للصابونى، ط١، دار القرآن الكريم، بيروت ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٤- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه (بدون تاريخ).
١٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشرى، دار الفكر بيروت (بدون تاريخ).
١٦- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى تحقيق وتعليق الأستاذ أحمد صادق الملاح، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
١٧- معانى القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتى، ومحمد على النجار، القاهرة ١٩٥٥م.
١٨- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، القاهرة (بدون تاريخ).
١٩- المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء للشيخ أبى يحيى زكريا الأنصارى (بحاشية منار الهدى)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
٢٠- منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء لأحمد بن محمد عبد الكريم الأشمونى، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
٢١- النحو الوافى للأستاذ عباس حسن، ط٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.
٢٢- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى، تحقيق الدكتور محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة (بدون تاريخ).
٢٣- نهاية القول المفيد فى علم التجويد للشيخ محمد مكى نصر الجريسى، المكتبة التوفيقية، القاهرة (بدون تاريخ).
٢٤- النهر الماد لأبى حيان الأندلسى، ط٢، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٢٥- الهادى شرح طيبة النشر فى القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها للدكتور محمد سالم محيسن، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

الفصل الثانى

دلالة حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية

توطئة:

من الظواهر اللغوية التى لاقت اهتماماً كبيراً من علمائنا القدامى الحذف، حيث عرضوا له فى كتبهم فى مواطن مختلفة [(١)]، ونعتوه بنعوت جميلة؛ فابن جنى (المتوفى٣٩٢هـ) يجعله من " شجاعة العربية "[(٢)]، و يصفه عبد القاهر الجرجانى (المتوفى٤٧١هـ) بقوله: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ،

---

(١) راجع على سبيل المثال: الكتاب لسيبويه:

الجزء الأول صفحات: ٢٥، ١٣٨، ١٨٤، ١٨٦، ٢٤٦، ٢٦٦، ٢٨٩، ٢٩٤.

والجزء الثانى صفحات: ٦٦، ٧٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٠، ١٤١، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٦، ٢٦٩، ٢٧٨ – ٢٨٣، ٣٤٤، ٣٤٥.

والجزء الثالث صفحات: ٥٢، ٨٤، ١٠٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٧، ١٤١، ١٧٤، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨٩، ٣٥٦، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥١٩.

والجزء الرابع صفحات: ٤٣، ٤٥، ٥٢، ٥٤، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٤، ٢١١ – ٢١٤، ٢٣٣، ٢٧٩، ٣٣٦، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٤، ٤٥٧، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥.

والمقتضب الجزء: الأول صفحات: ١٤، ١٩، ٣٣، ٧٤، ٨٨، ٨٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٢٥، ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٥١.

والجزء الثانى صفحات: ٦٢، ٧١، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨١، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٥١، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٨٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٧.

والجزء الثالث صفحات: ٣٥، ٧٥، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١٢١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٣٤١.

والجزء الرابع صفحات: ٥٠، ٧٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٣٣، ٣٣٤، و تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢١٠– ٢٣١.

والخصائص لابن جنى ٣٦٠/٢ – ٣٨١، وأمالى السهيلى ٥٤، ٥٥، ٧١، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٣، و دلائل الإعجاز ١٧٨–٢٠٠، ومغنى اللبيب ٢ / ٦٠٣– ٦٤٩، والأشباه والنظائر للسيوطى١/ ٣٤٠ – ٣٤٣، ٢/ ٣٩، ١٢٦، ١٣٣، ١٦٩، ١٨٢، ٢٢٥، و معترك الأقران ١ / ٢٣١–٢٥٢.

(٢) الخصائص ٣٦٠/٢.

عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بياناً إذا لم تبن "[١].

والحذف من سنن العرب [٢]، ومن الجوانب التحويلية فى النحو العربى[٣]؛ بل إنه " ظاهرة مشتركة فى اللغات الإنسانية "[٤]؛ حيث نجده فى كثير من اللغات؛ فمن أمثلته فى الإنجليزية:

(١) Richard is as stubborn as our father is.

الجملة حذفت منها الصفة (Stubborn) لتكررها؛ إذ أصل الجملة كالآتى:

(٢) Richard is as stubborn as our father is stubborn.[5]

ومن الحذف أيضا فى الإنجليزية حذف (if) مثل[٦]:

Were I the president, I'd make a lot of changes

حذفت (if) من الجملة السابقة، وقدم الفعل على الفاعل؛ليستقيم الكلام.

ومن الحذف ما يحدث فى الفرنسية فى أساليب النفى؛ حيث " إن التعبيرات التى كانت تعنى (ولا خطوة ne.....pas) و (ولا شىء ne.....rien) و (ولا شخص ne.....personne) صارت تستعمل استعمالا خاصا فى الرد على كثير من الأسئلة ذات الصيغ المعينة، يتلخص فى حذف الجزء الأول من هذه التعبيرات – و هو كلمة (ne) وهى الكلمة الدالة على النفى – فيرد بكلمة (pas) (خُطوة) أو personne (شخص) أو rien (شىء) وحدها – و هى تدل على

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٨.

(٢) راجع: الصاحبى لابن فارس ٣٣٧، وفقه اللغة، وأسرار العربية ٢٢٢.

(٣) راجع: النحو العربى والدرس الحديث ١٤٩.

(٤) النحو العربى والدرس الحديث١٤٩، وظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى د. طاهر سليمان حمودة ٤، ٩.

(٥) راجع: النحو العربيى والدرس الحديث ١٤٩، وظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ١٧.

(6) Ann, Raims, How English Works,N.Y:Harvard University (1994) P. 308
C.E.Eckersley, and J.M.Eckersley, "A comprehensive English Grammar For foreigners" S, Long man Group (1986) P. 351.

الثبوت. " ولكن يفهم الفرنسيون من هذه الكلمة معنى النفى، بعد حذف الكلمة الدالة أصلا على النفى فإذا رد الفرنسى على سؤال بمعنى من هناك؟ وأراد أن يقول ما يقابل (لا أحد) قال: personne أى (شخص) أو (أحد) "[1]

ويتم الحذف كذلك فى اللغة العبرية؛ من ذلك ما يتم فى التحيات، فعندما يرتدى أحدهم ملابس جديدة يحييه صاحبه بقوله: תתהדש بمعنى مبارك للملابس[2]، وأصل الجملة: תתהדש בגדך، ومعناها تتجدد ملابسك. وحذف المفعول به من الظواهر التى أولاها علماؤنا على اختلاف تخصصاتهم عناية مهمة؛ حيث تحدث عنه النحاة، والبلاغيون، وعلماء الدراسات القرآنية قديما وحديثا.

أولا: حذف المفعول به عند النحاة:

جرت عادة النحويين أن يقولوا: يحذف المفعول اختصارا واقتصارا؛ ويقصدون بالاختصار الحذف لدليل، والاقتصار الحذف لغير دليل[3]. ويوضح النحويون أن حذف المفعول لا يتم اعتباطًا بل إنه يحذف لغرض لفظى، أو معنوى، و إليك أغراض حذف المفعول عند النحاة[4]:

١- تناسب الفواصل[5]؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[6]. أى وما قلاك، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾[7]؛ أى: يخشاه.

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى د. محمود السعران ٢٨٧، ٢٨٨ وعنه فى ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ٩، ١٠.

(٢) قواعد اللغة العبرية للمبتدئين د. رشاد الشامى ص ٦٦.

(٣) راجع: مغنى اللبيب ٢/ ٦١١، والأشباه والنظائر ٢٢٥/٢، وحاشية الخضرى ١٨١/١.

(٤) راجع: شرح المفصل ٢/ ٣٩، وتسهيل الفوائد ٨٥، وأوضح المسالك ٩٧، ومغنى اللبيب ٦١١/٢، ٦١٢، وحاشية الصبان ٩٣/٢، ٩٤، وشرح التصريح على التوضيح٣١٤/١، والنحو الوافى ١٧٩/٢، ١٨٠.

(٥) جمع فاصلة؛ وهى كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. الإتقان ٣٣٢/٣.

(٦) سورة الضحى: ٣.

(٧) طه: ٣.

٢- الإيجاز؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾[١]؛ أى الإتيان بسورة من مثله ودعاء شهدائكم.

٣- الإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام؛ نحو: ضربت؛ أى حصل منى ضرب.

٤- الإعلام بمجرد إيقاع الفاعل للفعل مع الاقتصار عليهما، وعدم ذكر المفعول؛ أى تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم؛ نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]؛ والمعنى - كما فى المغنى-[٤] " ربى الذى يفعل الإحياء والإماتة، وهل يستوى من يتصف بالعلم، ومن ينتفى عنه العلم ".

٥- احتقاره؛ نحو قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾[٥] أى الكافرين.

٦- استهجانه؛ نحو قول عائشة رضى الله عنها: " ما رأيت منه ولا رأى منى " أى العورة.

ثانياً: حذف المفعول به عند البلاغيين :

يحذف المفعول به عند البلاغيين لغرض يتناسب مع السياق، ويكاد يتفق البلاغيون مع النحاة فى هذه الأغراض، وهناك أغراض حذف المفعول **به عند البلاغيين**[٦]:

---

(١) البقرة: ٢٤.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) مغنى اللبيب: ٦١٢/٢.

(٥) المجادلة: ٢١.

(٦) راجع: دلائل الإعجاز ١٨٥-١٩٢، ومفتاح العلوم للسكاكى ١٠٩، ١١٠، والإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ١/ ١٩٥-٢٠٢، والمصباح فى المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك ٤٧-٤٩، وشرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ٤٠، ٤١، وحلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهورى ٨٧، ٨٨، وبغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدى ١/ ٢١٥-٢٢٤.

١- رعاية الفاصلة؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[١]؛ أى وما قلاك.

٢- الاختصار لنيابة القرائن؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾[٢]: أى بعثه.

٣- القصد إلى التعميم للمبالغة؛ نحو قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾[٣]؛ أى كل أحد.٤- القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم؛ نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]؛ أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث.

٥- استهجان ذكره؛ كقول عائشة – رضى الله عنها- " ما رأيت منه ولا رأى منى " يعنى العورة.

٦- البيان بعد الإبهام، كما فى فعل المشيئة؛ نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٥]؛ أى فلو شاء هدايتكم لهداكم.

ثالثا: حذف المفعول به عند علماء الدراسات القرآنية:

يتفق علماء الدراسات القرآنية – الذين كتبوا فى إعجاز القرآن وعلومه – مع النحاة والبلاغيين فى أغراض حذف المفعول به [٦].

---

(١) الضحى: ٣.

(٢) الفرقان: ٤١.

(٣) يونس: ٢٥.

(٤) الزمر: ٩.

(٥) الأنعام: ١٤٩.

(٦) راجع على سبيل المثال: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢١٠-٢٣١، والبرهان للزركشى ٣/١٦٢-١٧٩، ومعترك الأقران للسيوطى ١/٢٣١-٢٥٢، والإتقان ٣/ ١٩٣، ١٩٤.

أغراض حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية:

قبل الحديث عن أغراض حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية، لابد أن نتعرف على ماهية الفواصل القرآنية، وهل يمكن أن تسمى سجعا؟ وما وظيفتها؟

الفواصل القرآنية عند اللغويين هى: أواخر الآيات فى كتاب الله – عز وجل – بمنزلة قوافى الشعر واحدتها فاصلة[١].

وعند علماء الدراسات القرآنية " هى كلمة آخر الآية؛ كقافية الشعر، وقرينة السجع "[٢] أو بأسلوب آخر هي " حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعنى "[٣].

من تعريف اللغويين للفاصلة وتعريف علماء الدراسات القرآنية يتضح أنه " لا اختلاف بين العلماء فى إطلاق الفاصلة على خواتم الآيات القرآنية "[٤].

بعض العلماء يطلقون على رءوس الآيات المتماثلة سجعا، لكن أكثر العلماء لا يطلقون على رءوس الآيات المتماثلة سجعاً، بل يسمونها فواصل؛ حيث " قرر الأشاعرة نفى السجع عن القرآن، وقالوا: إنما هى فواصل "[٥]، ويمثلهم الباقلانى (المتوفى٤٠٣هـ) فى كتابه إعجاز القرآن، الذى عقد فصلاً " فى نفى السجع من القرآن "[٦].

ونفي على بن عيسى الرماني (المتوفى٣٨٦هـ) المعتزلى السجع عن القرآن، واحتج له " بأقوى مما احتج به الأشاعرة؛ وعد الفواصل القرآنية من وجوه الإعجاز البلاغى للقرآن مميزاً بينها و بين الأسجاع تمييزاً واضحاً "[٧]؛

---

(١) راجع: القاموس المحيط (ف ص ل) ٢٩/٤، ولسان العرب [ف ص ل] ٣٤٢٤/٥.

(٢) البرهان للزركشى ٥٣/١، والإتقان للسيوطى ٣٣٢/٣.

(٣) إعجاز القرآن للباقلانى ٢٧٠.

(٤) مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقاتها بآياتها د/ محجوب الحسن محمد ص ٧٥.

(٥) الإعجاز البيانى للقرآن د/ عائشة عبد الرحمن ٢٥٤.

(٦) إعجاز القرآن للباقلانى بهامش الإتقان ١٠٦/١-١٢٣.

(٧) الإعجاز البيانى للقرآن ٢٥٧.

حيث عقد فى رسالته " النكت فى إعجاز القرآن " باباً خاصاً بالفواصل، فرق فيه بين الفواصل والسجع [١].

أما البلاغيون فأكثرهم على إثبات السجع فى القرآن الكريم أمثال أبى هلال العسكرى (المتوفى٣٩٥هـ) فى " كتاب الصناعتين " الذى عقد فيه باباً تحت عنوان " فى ذكر السجع والازدواج "[٢]، وابن سنان الخفاجى (المتوفى٤٦٦هـ) فى كتابه سر الفصاحة [٣].

وفى العصر الحديث وجدنا علماءنا يؤثرون التفرقة بين الفواصل والسجع، ويفضلون تسمية رءوس الآيات بالفواصل، يقول الإمام أبو زهرة: " ونحن نميل إلى أن اتحاد المقاطع فى القرآن الكريم لا يعد سجعاً؛ لأننا نرى السجاعين يتجهون إلى الألفاظ أولا، وقد يكون سهلاً وحلواً ولكن الاتجاه فيه أولا إلى الألفاظ؛ وذلك غير لائق للقرآن " [٤].

هذا وللفاصلة وظيفة فى القرآن المجيد هى: " تلخيص معنى الآية تلخيصا يبرز به المعنى المراد منها أو قل: هى إشارة مضيئة تبين مركز الثقل فى الآية"[٥].

بعد هذا العرض عن الفواصل القرآنية نأتى إلى أغراض حذف المفعول به فيها:

١- **رعاية الفاصلة:** هذا الغرض يذكره النحاة والبلاغيون وعلماء الدراسات القرآنية ضمن أغراض حذف المفعول به، لكن هل يُعقل أن يحذف المفعول به فى

---

(١) النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ٩٧-٩٩.

(٢) كتاب الصناعتين ٢٨٥-٢٩١.

(٣) سر الفصاحة ص ١٦٣ وما بعدها.

(٤) المعجزة الكبرى٣٠٢، وراجع: دراسات حول الإعجاز البيانى فى القرآن د/ المحمدى عبد العزيز الحناوى ١٩٢، والإعجاز البيانى للقرآن د/ عائشة عبد الرحمن ٢٦٨، ومباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ١٥٤.

(٥) دراسات فى القرآن والسنة د/ أحمد جمال العمرى ١١٩.

القرآن الكريم من أجل غرض لفظى فقط ؟ بالتأكيد " لا " غير أنه يجوز إذا كان مرتبطا بغرض معنوى آخر، " قال الزمخشرى فى كشافه القديم: لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعانى على سردها على المنهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأما أن تهمل المعانى ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه، فليس من قبيل البلاغة، وبنى على ذلك أن التقديم فى: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾[1] ليس لمجرد الفاصلة، بل لرعاية الاختصاص"[2].

ومن الأمثلة على حذف المفعول به التى تذكر تحت هذا الغرض قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[3].

ذهب الفراء (المتوفى٢٠٧هـ) إلى أن القرآن جرى على طرح كاف الخطاب من: " قلاك " اكتفاء بالكاف الأولى فى (ودعك)، ولمشاكلة رءوس الآيات[4]، وممن ذهب إلى أن حذف المفعول به لغرض لفظى فقط من المفسرين الزمخشرى (المتوفى٥٣٨هـ) حيث يقول: " حذف الضمير من (قلى) كحذفه من الذاكرات في قوله: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾[5] يريد والذاكراته، ونحوه (فآوى – فهدى – فأغنى) وهو اختصار لفظى؛ لظهور المحذوف "[6] والقرطبى (المتوفى٦٧١هـ) الذي يقول:

" وترك الكاف؛ لأنه رأس آية، وتأويل الآية: ما ودعك ربك وما قلاك؛ فترك الكاف؛ لأنه رأس آية كما قال عز وجل: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[7]

---

(١) البقرة: ٤.

(٢) الإتقان للسيوطى ٣٥٩/٣، ومعترك الأقران للسيوطى ٤٢/١،و راجع البرهان ٧٢/١.

(٣) الضحى: ٣.

(٤) راجع: معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤.

(٥) الأحزاب: ٣٥.

(٦) الكشاف ٢٦٣/٤، ٢٦٤.

(٧) الأحزاب: ٣٥.

أي والذاكرات الله "[1]، وأبو حيان (المتوفى ٧٥٤هـ) الذى يقول: " وحذف المفعول اختصارًا فى (قلى) وفى (فآوى) وفى (فهدى) وفى (فأغنى) إذ يعلم أنه ضمير المخاطب؛ وهو الرسول ﷺ "[2]، والجلالان فى تفسيرهما حيث يقولان: " وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل"[3] .

ورأيهم هذا يتنافى والبيان القرآنى؛ لأنه " لو كان البيان القرآنى يتعلق بهذا الملحظ اللفظى فحسب، لما عدل عن رعاية الفاصلة فى الآيات بعدها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4] وليس فى السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترعى بمثل لفظ (فخبر) لمشاكلة رءوس الآيات بالعدول إلى هذا اللفظ عن (فحدث)"[5].

ومن المفسرين من ربط الغرض اللفظى بغرض معنوى آخر؛ فالإمام الرازى (المتوفى٦٠٤هـ) يضيف إلى الغرض اللفظى غرضاً آخر؛ حيث يقول " وثانيا فائدة الإطلاق أنه ما قلاك ولا قلى أحداً من أصحابك، ولا أحدا ممن أحبك إلى قيام القيامة، تقريراً لقوله (المرء مع من أحب) "[6]، ويضيف الإمام الآلوسى (المتوفى ١٢٧٠هـ) إلى ذلك أن " حذف المفعول لئلا يواجه – ﷺ – بنسبة القلى، و إن كانت فى كلام منفى لطفا به – صلى الله تعالى عليه وسلم – و شفقة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧١٨٤/١٠.

(٢) البحر المحيط ٤٨٥/٨.

(٣) تفسير الجلالين ٥٤٢، والجلالان هما جلال الدين المحلى الذى فسر النصف الأخير من القرآن الكريم وفاتحة الكتاب ثم وافته المنية، وجلال الدين السيوطى الذى أتم التفسير؛ حيث فسر النصف الأول من القرآن الكريم من أول البقرة إلى آخر الإسراء. راجع: مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان ٣٦٧.

(٤) الضحى ٩، ١٠، ١١.

(٥) الإعجاز البيانى للقرآن ٢٦٩.

(٦) التفسير الكبير ١٩٠/٣١.

عليه – عليه الصلاة و السلام "[1]

وتتفق بنت الشاطئ مع الإمام الألوسى فى رأيه حيث تري " أن حذف الكاف من ﴿**وما قلى**﴾ مع دلالة السياق عليها تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف هى تحاشى خطابه تعالى رسوله المصطفى فى موقف الإيناس، بصريح القول: وما قلاك؛ لما فى القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض "[2].

من كلام المفسرين السابق نرى أن حذف المفعول به ليس رعاية للفاصلة فقط، بل لها ولغرض معنوى آخر يفهم من السياق، حيث لا نقلل من شأن الفاصلة، ولا نجعلها الأصل فى تفسير الظواهر اللغوية كما فعل الدكتور إبراهيم أنيس [3] معللين الظاهرة بالانسجام الموسيقى للفواصل دون النظر إلى المعنى.

هذا وتوجد أمثلة أخرى لهذا الغرض فى الفواصل القرآنية فى أربعة وعشرين موضعا.

٢- **الاختصار لنيابة القرائن:** هذا الغرض من أكثر أغراض حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية حيث ورد فى ثلاثمائة واثنين وأربعين موضعاً أكثرها فى حذف عائد الاسم الموصول، الذى يذكر النحاة أن حذفه جائز إذا كان منصوبا متصلا بفعل أو وصف غير صلة الألف واللام، وحذف منصوب الفعل كثير[4]، ويذكرون أن السبب فى حذفه التخفيف يقول ابن يعيش (المتوفى ٦٤٣هـ): " لما استطالوا الاسم بصلته حذفوا من صلته العائد تخفيفا "[5].

و من أمثلة هذا الغرض ما يأتى:

(أ) قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢].

---

(١) روح المعانى للألوسى١٥٦/٣٠، وراجع: تفسير القاسمى لمحمد جمال الدين القاسمى ٩٣/١٧.

(٢) الإعجاز البيانى للقرآن ٢٦٩.

(٣) راجع: على هدى الفواصل القرآنية د. إبراهيم أنيس ١٠٧-١١٨.

(٤) راجع: تسهيل الفوائد ٣٤، وشرح ابن عقيل٨١/١، و أوضح المسالك ٣٣، وشرح التصريح ١٤٤/١، ١٤٥.

(٥) شرح المفصل ٣/ ١٥٢.

حذف مفعول الفعل (تحبون)؛ وهو عائد الاسم الموصول (ما)؛ والتقدير (مما تحبونه).

(ب) قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٦].

حذف المفعول به؛ والتقدير (يريده).

(جـ) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[آل عمران:١٦٧].

حذف المفعول به، والتقدير (يكتمونه).

(د) قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[الصافات:٩٥].

حذف المفعول به؛ والتقدير (تنحتونه).

كل الأمثلة السابقة على حذف ضمير المفعول، " وهو مراد حذف تخفيفا؛ لطول الكلام بالصلة؛ ولولا إرادة المفعول – وهو الضمير – لخلت الصلة من ضمير يعود على الموصول؛ وذلك لا يجوز "[1]. ومن أمثلة الاختصار من غير عائد الاسم الموصول ما يأتى:

(أ) قال تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القلم:٤٢].

المفعول به محذوف والتقدير (فلا يستطيعونه)، وحذف المفعول فى الآية؛ لدلالة ما قبله عليه.

(ب) قال تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[النجم:٦٢].

المفعول به محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ والتقدير (واعبدوا الله)

(جـ) قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الذاريات:١٨].

المفعول به محذوف، والتقدير: (يستغفرون الله).

(د) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[المطففين:٢].

حذف المفعول لدلالة الحال عليه؛ والتقدير: يستوفون حقهم؛ أى الكيل.

---

(١) البرهان للزركشى ١٦٢/٣.

٣- **القصد إلى التعميم للمبالغة:** لقد ورد هذا الغرض فى الفواصل القرآنية فى سبعة وثمانين موضعاً، ومن أمثلته ما يأتى:

(أ) قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٦٧].

حذف مفعول (تعلمون) للمبالغة فى التهديد والوعيد[١]، وهذا أدعى فى أن يجعل العقل يذهب كل مذهب؛ لأن حذف المفعول يدل على العموم الذى يجعلهم لا يحددون ما هم متوعدون به، " فيجوز أن يكون تهديداً بعذاب الآخرة، ويجوز أن يكون تهديداً بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء "[٢].

(ب) قال تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٩٣].

حذف مفعول الفعل (يعلمون)؛ ليدل على عدم علمهم شيئا مما يترتب على الجهاد من المنافع الدينية والدنيوية [٣].

(جـ) قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[النجم:٣٧].

" لم يذكر متعلق وفى، ليتناول كل ما يصلح أن يكون متعلقا له كتبليغ الرسالة والاستقلال بأعباء الرسالة، والصبر على ذبح ولده، وعلى فراق إسماعيل وأمه، وعلى نار نمروذ، وقيامه بأضيافه، وخدمته إياهم بنفسه "[٤].

(د) قال تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[المدثر:٢٨].

حذف المفعول؛ ليدل على العموم، أى " لا تبقى منهم شيئا ثم يعادون خلقا جديداً، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبدا "[٥].

(هـ) قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[النبأ:٤، ٥].

---

(١) البحر المحيط ١٥٢/٤.

(٢) البحر المحيط ١٥٢/٤.

(٣) راجع: البحر المحيط ٥/ ٨٨.

(٤) البحر المحيط ٨/ ١٦٧، وراجع تفسير القرطبى ٩/ ٦٢٨٣.

(٥) تفسير القرطبى ١٠/ ٦٨٦٩.

حذف مفعول الفعل (سيعلمون) من أجل التهويل حتى يذهب العقل كل مذهب فيما سيحل بهم من العذاب[1].

(و) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[البروج:١٣].

قال ابن عباس " عام فى جميع الأشياء؛ أى: كل ما يبدأ وكل ما يعاد "[2].

٤- القصد إلى نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم: لقد ورد هذا الغرض فى الفواصل القرآنية فى مائة وثمانية وخمسين موضعاً؛ من ذلك:

(أ) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة:١٧].

يقول الزمخشرى (المتوفى٥٣٨هـ): " والمفعول الساقط من (لا يبصرون) من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت إلى إخطاره بالبال، لا من قبيل المقدر المعنوى، كأن الفعل غير متعد أصلا نحو: يعمهون "[3].

" كأنه قيل: ليس لهم إبصار، وهو أبلغ من أن يقدر المفعول؛ أى: لا يبصرون شيئا؛ لأن الأول يستلزم الثانى دون العكس "[4].

(ب) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة:١٧].

حذف مفعول تعلمون؛ لأن الفعل قد نزل منزلة اللازم.

يقول أبو حيان (المتوفى٧٥٤هـ): " ومفعول (تعلمون) متروك؛ لأن المقصود إثبات أنهم من أهل العلم والمعرفة والتمييز "[5].

---

(١) راجع: الكشاف ٤/ ٢٠٧، والبحر المحيط ٨/ ٤١١.

(٢) النهر المـاد لأبى حيان ٤٤٩/٨.

(٣) الكشاف ٢٠١/١، وراجع: البحر المحيط ٨١/١.

(٤) حاشية الجرجانى على الكشاف ٢٠١/١.

(٥) البحر المحيط ١/ ١٠٠.

(جـ) قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:١٣٨].

الفعل (تجهلون) لم يذكر مفعوله؛ لأنه غير مراد، وليبين أنهم قوم صار الجهل فيهم كأنه طبيعة وغريزة يقول أبو حيان (المتوفى٧٥٤هـ): " وأتى بلفظ (تجهلون) ولم يقل جهلتم إشعاراً بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه فى ماض ولا مستقبل "[١].

(د) قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)﴾ [النجم:٤٣، ٤٤].

حذفت مفاعيل الأفعال: أضحك وأبكى وأمات وأحيا لأنها غير مرادة، والفعل منزل منزلة اللازم؛ أى أن الله هو المضحك والمبكى وهو المميت والمحيى.

(هـ) قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾[النجم:٤٨].

حذف مفعولا الفعلين (أغنى، وأقنى)؛ " لأن المقصود نسبة هذين الفعلين لله تعالى "[٢].

(و) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[الليل:٥].

حذف مفعولا (أعطى)، ومفعول (اتقى)؛ لأن الفعلين نزلا منزلة اللازم وصار المعنى: فأما من اتصف بالعطاء، واتصف بالتقوى. وهذا أولى من تقدير معموليهما.

أما الأغراض الآتية: احتقاره، واستهجان ذكره، والبيان بعد الإبهام فلم يرد منها شيء فى الفواصل القرآنية.

العدد الإجمالى لأغراض حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية[٣]:

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٣٧٨.

(٢) البحر المحيط ١٦٨/٨.

(٣) هذا الإحصاء خاص بحذف مفعول الفعل أما مفعول الوصف [المشتقات] فلم أحصره.

م	الغـــــــــرض	العدد	النسبة
١	الاختصار لنيابة القرائن	٣٤٢	% ٥٥,٨٨
٢	قصد نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم	١٥٨	% ٢٥,٨٢
٣	التعميم	٨٧	% ١٤,٢١
٤	رعاية الفاصلة	٢٥	% ٤,٠٨
	المجمـــــــوع	٦١٢	% ١٠٠

ملاحظات:

إن حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية قد يأتى محتملا لغرضين مختلفين[١]؛ من ذلك:

١- الاختصار ورعاية الفاصلة:

من الفواصل التى احتملت هذين الغرضين ما يأتى:

(أ) قال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾[النجم:٢٤].

حذف مفعول الفعل (تمنى)؛ وهو الضمير الذى يعود على الاسم الموصول (ما)، والغرض من حذفه إما الاختصار لنيابة القرائن؛ حيث إن عائد الاسم الموصول يحذف كثيراً إذا كان منصوبا للفعل، وإما لرعاية الفاصلة؛ حيث إن السورة تنتهى آياتها بالألف اللينة.

(ب) قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢].

حذف مفعول الفعل (انحر) وهو (البدن) إما للاختصار لنيابة القرائن، حيث إنه من المعلوم أن الإنسان بعد صلاة عيد الأضحى يذبح أضحيته. وإما لرعاية الفاصلة لكون السورة آياتها تنتهى بالراء.

(جـ) قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[المسد:٢].

---

(١) ملحوظة: رجحت أقوى الغرضين دلالة فى الحصر.

حذف مفعول الفعل (كسب)؛ وهو الضمير الذى يعود على الاسم الموصول (ما)، والغرض من الحذف إما الاختصار، وإما رعاية الفاصلة؛ لكون السورة أغلب آياتها تنتهى بالباء.

٢- التعميم ورعاية الفاصلة:

من الفواصل التى احتملت هذين الغرضين ما يأتى:

(أ) قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[النجم:٣٧].

حذف مفعول (وفى) ليكون شاملا لكل شىء، ويجوز أن يكون حذف رعاية للفاصلة؛ لكون السورة تنتهى آياتها بالألف اللينة، والغرض الأول أولى.

(ب) قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[المطففين:٣].

حذف مفعول الفعل (يخسرون)؛ وهو (المكيل أو الموزون)؛ لغرض التعميم[١]، أو لرعاية الفاصلة؛ لكون الآية تقع بين آيات تنتهى بالنون، والغرض الأول أولى.

(جـ) قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾[الأعلى:٦].

حذف مفعول الفعل (تنسى)؛ وهو (شيئاً)[٢]؛ لغرض التعميم، أو لرعاية الفاصلة؛حيث إن السورة آياتها تنتهى بالألف اللينة، والغرض الأول أولى.

٣- قصد نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم ورعاية الفاصلة:

من الفواصل التى احتملت هذين الغرضين ما يأتى:

(أ) قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[طه:٥٢].

حذف مفعول الفعل (ينسى)؛ وهو غير مراد، والمعنى: ولا يتصف بالنسيان، وإما لرعاية الفاصلة؛ لكون السورة آياتها تنتهى بالألف اللينة غالبا، والغرض الأول أولى.

---

(١) راجع: البرهان للزركشى ٣/ ١٦٥.

(٢) راجع: تفسير القرطبى ٧١٠٨/١٠، ٧١٠٩.

(ب) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾[النازعات:٢٦].

مفعول الفعل (يخشى) محذوف، وهو غير مراد، والمعنى: إن فى ذلك لعبرة لمن اتصف بالخشية. وإما لرعاية الفاصلة؛ حيث إن الآية بين آيات تنتهى بالألف.

(جـ) قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى﴾[الأعلى:١٠].

مفعول الفعل (يخشى) محذوف، وهو غير مراد، والمعنى: سيذكر من اتصف بالخشية، أو لرعاية الفاصلة؛ لكون آيات السورة تنتهى بالألف اللينة.

٤- التعميم وقصد نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم:

هذان الغرضان يتداخلان، الأمر الذى جعل السكاكى (المتوفى٦٢٦هـ) يقول: " وأكثر فواصل القرآن من نحو: يعلمون – يعقلون – يفقهون واردة على احتمال ما سمعت من الاحتمالين"[١] يعنى: التعميم وقصد نفس الفعل.

ومن الأمثلة على ذلك:

(أ) قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

حذف مفعول الفعل (تعلمون) للعموم والتقدير: " وأنتم تعلمون أنه لا يماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله"[٢].

أو لتنزيله منزلة اللازم، والمعنى: وأنتم من أهل العلم والمعرفة. والغرض الثانى أولى.

(ب) قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦].

حذف مفعول (تعلمون) للعموم والتقدير (وأنتم لا تعلمون شيئا)، أو أن المفعول غير مراد، والمعنى: وأنتم لا تتصفون بالعلم والمعرفة.

---

(١) مفتاح العلوم ١١٠.

(٢) مفتاح العلوم ١١٠.

(جـ) قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[البقرة: ١٧١].

حذف مفعول الفعل (يعقلون) للعموم، والمعنى: فهم لا يعقلون شيئا، أو لقصد نفس الفعل، والمعنى فهم لا يتصفون بالعقل والفهم.

النتائج

١- وضح من البحث أن رءوس الآيات تسمى فواصل، ولا تسمى سجعا فى الرأى الراجح.

٢- حذف المفعول به فى الفواصل القرآنية يتم لغرض يتحدد تبعا للسياق.

٣- رعاية الفاصلة: لا يحذف المفعول به لهذا الغرض وحده بل لهذا الغرض ولغرض معنوى آخر.

٤- قصد نفس الفعل بتنزيل المتعدى منزلة اللازم: هذا الغرض ورد فى مائة وثمانية وخمسين موضعا، مما يجعلنى أرى أنه لابد من أن يكون للسياق دوره فى القواعد النحوية، وأرى أن يضاف السياق إلى المواضع التى يتحول فيها المتعدى إلى اللازم[١].

** ** ** **

(١) المواضع التى يصير فيها المتعدى لازما أو فى حكم اللازم خمسة هى:

(أ) التضمين (ب) التحويل إلى فَعُل بالضم – لقصد المبالغة و التعجب.

(جـ) مطاوعته المتعدى إلى واحد (د) الضعف عن العمل بالتأخير أو بكونه فرعاً فى العمل.

(هـ) الضرورة.

راجع: الأشمونى بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٢/٢٤٤-٢٥٤.

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى؛ ط٤، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢- الأشباه والنظائر للسيوطى، تحقيق د/ فايز ترحينى، بيروت ١٩٨٤م.

٣- الإعجاز البيانى للقرآن، د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط٢، دار المعارف ١٩٨٧م.

٤- إعجاز القرآن للباقلانى بهامش إتقان علوم القرآن للسيوطى، ط/٤، القاهرة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٥- أمالى السهيلى لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسى فى النحو واللغة والحديث والفقه، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا؛ ط١، القاهرة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٦- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك بن هشام، تحقيق الأستاذ/ عبد المتعال الصعيدى، القاهرة ١٩٨٢م.

٧- الإيضاح للقزوينى، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجى، ط٥، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، ط٢، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٩- البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.

١٠- بغية الإيضاح للأستاذ/ عبد المتعال الصعيدى، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة (بدون تاريخ).

١١- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة؛ شرحه ونشره السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث، القاهرة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١٢- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة ١٩٦٧م.

١٣- تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، دار الشعب ١٩٧٠م.

١٤- تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمى، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى؛ دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، دار الريان للتراث، (بدون تاريخ).
١٧- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل، القاهرة ١٩٤٠م.
١٨- حاشية الصبان على شرح الأشمونى، القاهرة (بدون تاريخ).
١٩- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهورى بهامش شرح عقود الجمان للسيوطى، ط/ مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.
٢٠- الخصائص لابن جنى، تحقيق محمد على النجار، طبعة المكتبة العلمية (بدون تاريخ).
٢١- دراسات حول الإعجاز البيانى فى القرآن، للدكتور المحمدى عبد العزيز الحناوى، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٢٢- دراسات فى القرآن والسنة، للدكتور أحمد جمال العمرى؛ ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.
٢٣- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجى، مكتبة القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٤- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة الألوسى البغدادى، مكتبة التراث القاهرة (بدون تاريخ).
٢٥- سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدى؛ مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٢٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٨٠م.
٢٧- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، القاهرة (بدون تاريخ)، ط٣، مكتبة النهضة المصرية١٩٧٠م، بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.
٢٨- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه (بدون تاريخ).
٢٩- شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى؛ مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.
٣٠- شرح المفصل لابن يعيش، بيروت (بدون تاريخ).

٣١- الصاحبى لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة ١٩٧٧م.
٣٢- ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى، للدكتور طاهر سليمان حمودة، طبعة الدار الجامعية، الإسكندرية (بدون تاريخ).
٣٣- علم اللغة مقدمة للقارئ العربى، للدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت (بدون تاريخ).
٣٤- على هدى الفواصل القرآنية، للدكتور إبراهيم أنيس، بحث بمجلة مجمع اللغة العربية، البحوث والمحاضرات (مؤتمر ١٩٦١- ١٩٦٢م) طبعة القاهرة ١٩٦٢م.
٣٥- فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبى؛ مكتبة الحياة، بيروت، (بدون تاريخ).
٣٦- القاموس المحيط للفيروز أبادى؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ١٣٠١هـ.
٣٧- قواعد اللغة العبرية للمبتدئين، للدكتور رشاد الشامى، القاهرة ١٩٧٨م.
٣٨- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون؛ بيروت (بدون تاريخ).
٣٩- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى، تحقيق د/ مفيد قميحة، ط١، دار الكتاب العلمية، بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٤٠- الكشاف للزمخشرى، طبعة دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ).
٤١- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف بمصر.
٤٢- مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ط٣، مؤسسة الرسالة (بدون تاريخ).
٤٣- المصباح فى المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، تحقيق د/حسنى عبد الجليل يوسف؛ ط١، مكتبة الآداب ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٤٤- معانى القرآن للفراء الجزء الثالث، تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى، مراجعة الأستاذ / على النجدى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.
٤٥- معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٤٦- المعجزة الكبرى للإمام محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربى١٩٧٠م.
٤٧- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده (بدون تاريخ).
٤٨- مفتاح العلوم للسكاكى، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت (بدون تاريخ).

٤٩- المقتضب للمبرد، تحقيق د/ محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت (بدون تاريخ).
٥٠- مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقاتها بآياتها، للدكتور محجوب الحسن محمد؛ بحث منشور بجامعة الإمام العدد (١٨) ذو القعدة ١٤١٧هـ.
٥١- النحو العربى والدرس الحديث، للدكتور عبده الراجحى، طبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م
٥٢- النحو الوافى، لعباس حسن؛ ط٩، دار المعارف ١٩٨٧م.
٥٣- النكت فى إعجاز القرآن للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام، ط٤، دار المعارف ١٩٩١م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1- Raimes,Ann How English works, N.Y Harvard University (1994).
2- Eckersley C.E. and Ekersley J.M., A Comprehensive English Grammar for foreigners. S, Longman Group, (1986)

** ** ** **

الفصل الثالث

التوحيد والعدل عند المعتزلة

وأثرهما فى اللغة

مقدمة:

اللغة لا يصنعها فرد واحد، بل هى "وليدة المجتمع، ونتاج تحركاته، ونشاطه، ومعارفه، وخبراته، وأعرافه، وتقاليده[١]"، أى أنها" الواقع الاجتماعى بمعناه الأوفى[٢]".

ومادامت اللغة نظامًا اجتماعيًا؛ فإنها "تخضع لما يخضع له المجتمع من مؤثرات[٣]"؛ ومن المؤثرات الفعالة فى المجتمع الدين الذى يعتبر بحق من أقوى العوامل، وأعمقها تأثيراً فى اللغة؛ لأنه "المصدر الخصب الذى يمد اللغة بأسباب النمو والرقى، وعوامل الازدهار والانتشار؛ وهو الذى يجدد من دمائها، ويقوى أعوادها، ويمنحها طاقة المقاومة بكل ما يواجهها عبر الزمن[٤]".

وهذا ما حدث للغة العربية عند ظهور الإسلام؛ حيث تأثرت بظهوره، وتم ذلك بموت ألفاظ؛ لزوال معانيها؛ من ذلك[٥]: المرباع[٦]، والنشيطة[٧]، والمكس[٨] وقولهم للملك أبيت اللعن، وكذلك قولهم: عم صباحا، وعم ظلاما.

وأهملت ألفاظ أخرى؛ لأنها غريبة حوشية؛ مثل كلام أحد المتقعرين إلى بعض الحذائين فى نعل يقول له: "دِنْها، فإذا همت تأتدن، فلا تخلها تمرخد، وقبل

---

(١) علم اللغة الاجتماعى، مدخل ٢٦٩

(٢) اللغة ٣٥.

(٣) المولد ٣٦.

(٤) علم اللغة الاجتماعى، مدخل ٢٧.

(٥) انظر: الصاحبى فى فقه اللغة ٧٨-٨٦ ، والمزهر فى علوم اللغة وأنواعها ٢٩٦٣٠٣/١.

(٦) هو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية.

(٧) هى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى القوم، أو ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل بلوغ الموضع المقصود.

(٨) هو دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق الجاهلية.

أن تقفعل، فإذا ائتدنت فامسحها بخرقة غير وكية ولا جشية، ثم امعسها مَعْسا دقيقا، ثم سن شفرتك، وأمهها، فإذا رأيت عليها مثل الهبوة فسن رأس الإزميل، ثم سم بالله، وصل على محمد ﷺ...[1]".

ومن أثر الإسلام فى اللغة أن أحدث أسماء بأن أضفى عليها معنى جديداً؛ من ذلك: المؤمن، والكافر، والمنافق، والفاسق، والصلاة، والزكاة، والصوم، ....إلخ.

وبعد أن ترجمت كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية، ودخول أهل الديانات الأخرى المليئة بالشبه والأوهام فى الإسلام؛ كثر الجدل بالأقيسة الصناعية والعقلية؛ فاضطر العلماء أن يعارضوا هؤلاء المجادلين بمثل منطقهم، وساعدهم الخلفاء على ذلك، وأولهم الخليفة محمد المهدى (١٥٨هـ – ١٦٩هـ) الذى حرض العلماء على تدوين علم الكلام.

هؤلاء العلماء الذين تأثروا بالعلوم الفلسفية كان لهم اعتقادهم المتأثر بهذه العلوم، وببعض الشبه التى كان يقولها اليهود والنصارى فى جدالهم مع علماء المسلمين.

هؤلاء العلماء هم المعتزلة الذين هم أقدر المسلمين على مجادلة غيرهم من أهل الديانات الأخرى؛ لدراستهم الفلسفة، والعلوم المختلفة، وكان لهم مذهبهم الخاص بهم الذى أقاموه على أصول دافعوا عنها، وأولوا الآيات القرآنية؛ كى تستقيم مع اعتقادهم.

ولا يسمى أحد من المسلمين معتزليًّا إلا إذا اعتنق هذه الأصول، يقول أبوالحسن الخياط أحد زعماء المعتزلة فى القرن الثالث الهجرى: "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن كملت هذه الخصال فهو معتزلى[2]". وقد كان على المعتزلة أن يقيموا

---

(١) أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ٦٢.

(٢) الانتصار ١٢٦.

مذهبهم على أسس دينية من القرآن الكريم؛ ليجابهوا الحجج القرآنية لخصومهم، وسبيلهم إلى ذلك "النظر إلى القرآن أولا من خلال عقيدتهم، ثم إخضاعهم عبارات القرآن لآرائهم التى يقولون بها، وتفسيرهم لها تفسيرًا يتفق مع نحلتهم وعقيدتهم[١]".

وهذا ما فعله الزمخشرى (المتوفى ٥٣٨هـ) حيث أيد الأصول الخمسة "بكل ما استطاع من فكر وبيان، وأول الآيات القرآنية بما يتفق مع هذه الأصول، ويؤكدها[٢]"، وجعل لنفسه ضابطا، هذا الضابط هو أن ينظر إلى القرآن الكريم نظرة عامة "فيجعل الآى المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالى محكمة، وتلك التى تخالفه متشابهة، ثم يرد المتشابه إلى المحكم؛ ليخضع تفسيرها للرأى الاعتزالى"[٣].

ما فعله الزمخشرى، وما فعله غيره من علماء المعتزلة أثر فى اللغة، ألفاظها، وتراكيبها، وسأدرس فى هذا البحث أصلين من أصول المعتزلة؛ وهما: التوحيد والعدل مبينا كيف تعامل المعتزلة مع الآيات القرآنية التى يخالف ظاهرها مذهبهم؟

أولا: التوحيد :

المسلمون جميعا موحدون، لا يشركون مع الله أحدا، بيد أن المعتزلة وصلوا فى توحيدهم إلى حد التفلسف، وبنوا عليه أمورا لم يكن أحد من المسلمين يعرض لها؛ حيث يعتقدون "بأن الله تعالى قديم[٤]، والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حى بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة... واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق....

---

(١) التفسير والمفسرون ١/٣٨٠.

(٢) الزمخشرى د.أحمد الحوفى١١٩.

(٣) منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه ١٠٧.

(٤) هذا مما أدخله المتكلمون فى أسماء الله تعالى، وهو ليس منها؛ لعدم وروده فى كتاب ولا سنة صحيحة، والأولى أن يقال: الأول، انظر شرح العقيدة الطحاوية ١١٤،١١٥.

واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معانى قائمة بذاته، لكن اختلفوا فى وجوه وجودها، ومحامل معانيها... واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار، ونفى التشبيه عنه من كل وجه: جهة، ومكانا، وصورة، وجسما، وتحيزا، وانتقالا، وزوالا، وتغيرا، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيداً"[1].

وإليك التوضيح من خلال التطبيق على الآيات القرآنية:

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف النحاة فى اشتقاق الاسم؛ حيث "ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم هو العلامة- وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو- وهو العلو-"[2].

والسبب فى اختلافهم أن من قال: الاسم مشتق من العلو "يقول: لم يزل الله- سبحانه- موصوفا قبل وجود الخلق، وبعد وجودهم، وعند فنائهم، ولا تأثير لهم فى أسمائه، ولا صفاته؛ وهذا قول أهل السنة.

ومن قال: الاسم مشتق من السمة يقول: " كان الله فى الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقى بلا اسم ولا صفة؛ وهذا قول المعتزلة، وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة "[3].

وعلى الخلاف السابق فى اشتقاق الاسم وقع الكلام فى الاسم والمسمى؛ حيث " ذهب أهل الحق فيما نقل القاضى أبوبكر بن الطيب: إلى أن الاسم هو المسمى، وارتضاه ابن فورك، وهو قول أبى عبيدة وسيبويه.

فإذا قال قائل: الله عالم، فقوله دال على الذات الموصوفة بكونه عالما، فالاسم كونه عالما، وهو المسمى بعينه. وكذلك إذا قال: الله خالق؛ فالخالق هو الرب،

---

(١) الملل والنحل ٦٥،٦٦/١، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ٥٨٩.

(٢) الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ٦/١.

(٣) تفسير القرطبى ٨٨/١ ، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ١٤٢.

وهو بعينه الاسم؛ فالاسم عندهم هو المسمى بعينه من غير تفصيل"[1]. وذهب المعتزلة إلى أن الاسم غير المسمى، ومقصودهم أن أسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق[2].

(٢) قال الله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦].

أهل السنة يعتقدون أن الواجب فى باب الصفات أن نثبت ما أثبته الله ورسوله، وننفى ما نفاه الله ورسوله[3]. أما المعتزلة فإنهم يؤولون الصفات تنزيها لله سبحانه، أهل السنة يثبتون لله- عز وجل- نفسا، لكنها ليست كنفوس المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4].

والمعتزلة يؤولونها؛ فالشريف المرتضى (المتوفى٤٣٦هـ) يؤولها بالغيب، يقول: " أى تعلم غيبى وما عندى، ولا أعلم غيبك"[5] ثم يوضح سبب تسمية النفس غيباً بأن "نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع، نزل ما يكتمه ويجتهد فى ستره منزلتها، وسمى باسمها؛ فقيل فيه: إنه نفسه، مبالغة فى وصفه بالكتمان والخفاء "[6].

أما الزمخشرى فيؤولها بالمعلوم يقول: " والمعنى: تعلم معلومى ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة، وهو من فصيح الكلام "[7].

---

(١) تفسير القرطبى ٨٨/١، وانظر: تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ٣٨/١ ، وروح المعانى للألوسى ٥٢،٥٣/١.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠٤/٦.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢٣٩ ، وأصول العقيدة الإسلامية لعبدالمنعم صالح العلى العزى ٧٦، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤١٣ ، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ١٢.

(٤) الشورى ١١.

(٥) التفسير والمفسرون ٤٢٣/١ نقلا عن الأمالى للشريف المرتضى.

(٦) التفسير والمفسرون ٤٢٣/١ نقلاً عن الأمالى للشريف المرتضى.

(٧) الكشاف ٦٥٥/١.

وفى قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران:٢٨،٣٠] يؤول الشريف المرتضى النفس بالعقوبة[١]. ويذكر القرطبى (المتوفى٦٧١هـ) هذا التأويل عن بعضهم يقول: " المعنى: ويحذركم الله عقابه؛ مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[٢] "[٣].

(٣) قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:٦٤]

المفهوم من الآية أن لله يداً، وهذا ما يعتقده أهل السنة والجماعة، حيث يثبتون لله يداً، لكنها ليست كأيدينا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٤].

يقول الإمام أبوحنيفةرضي الله عنه فى الفقه الأكبر: " له يد ووجه ونفس، كما ذكر تعالى فى القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس؛ فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته ونعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة "[٥].

أما المعتزلة فإنهم يؤولون اليد فى الآية- بالنعمة؛ لقول العرب: لى عند فلان يد، أى نعمة ومعروف[٦]، ويؤولون غل اليد وبسطها بأنها مجاز عن البخل والجود يقول الزمخشرى: " غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[٧] ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام، وبين ما وقع مجازا عنه؛ لأنهما كلامان متعاقبان على حقيقة واحدة، حتى إنه يستعمل فى ملك لا يعطى عطاء قط، ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون ٤٢٣/١ نقلاً عن الأمالى للشريف المرتضى.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) تفسير القرطبى ١٣٠٠/٢.

(٤) الشورى: ١١.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢٤٠.

(٦) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٦٧.

(٧) الإسراء: ٢٩.

وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا: ما أبسط يده بالنوال!لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد؛ كقوله {الكامل}:

جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد الشمال يدا فى قوله {الكامل}:

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ويقال: بسط اليأس كفيه فى صدرى، فجعلت لليأس الذى هو من المعانى لا من الأعيان كفان ومن لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب فى تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به"[1].

كلام المعتزلة مردود عليهم؛ حيث لا يجوز " أن تكون اليد- هاهنا- النعمة؛ لأنه قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ معارضة عما قالوه فيها ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ولا يجوز أن يكون أراد (غلت نعمهم، بل نعمتاه مبسوطتان) لأن النعم لا تغل؛ ولأن المعروف لا يكنى عنه باليدين، كما يكنى عنه باليد، إلا أن يريد جنسين من المعروف، فيقول: لى عنده يدان"[2].

والزمخشرى يؤول بسط اليد بالمجاز مع نفيه وجود يد، وهذا ديدنه فى كل آية فيها ذكر اليد لله عز وجل، يقول فى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [3]: " فإن قلت: ما وجه قوله **(خلقت بيدى)**؟ قلت: قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يدين له: يداك أوكتا وفوك نفخ، وحتى لم يبق فرق بين قولك:

---

(١) الكشاف ٦٢٧/١.

(٢) تأويل مختلف الحديث ٦٧،٦٨.

(٣) ص : ٧٥.

هذا مما عملته، وهذا مما عملته يداك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[1]، و﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2].

تأويل الزمخشرى للآية مردود عليه؛ لأن الفعل مضاف إلى الفاعل، ومعدى إلى اليد بحرف الجر الباء، وهذا"نص فى أنه فعل الفعل بيديه؛ ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال: فعلت هذا بيديك، ويقال: هذا فعلته يداك؛ لأن مجرد قوله: فعلت، كافٍ فى الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة، ولست تجد فى كلام العرب ولا العجم- إن شاء الله تعالى- فصيحا يقول: فعلت هذا بيدى، أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها"[3].

تأويل المعتزلة لآيات الصفات تأثر به المتأخرون من علماء أهل السنة حيث رأوا " أن تلك النصوص إن تركت بدون تأويل ربما يترتب على عدم تأويلها وتفسيرها وقوع الذين لم يتعمقوا فى فهم الإسلام فى خطأ الانحراف عن العقيدة السليمة، والوقوع فى ورطات فكرية خطيرة. وقد جاءت آيات الله فى كتابه كما جاءت أحاديث رسول الله ﷺ. على نمط اللسان العربى، وباللغة العربية الفصحى. واللغة العربية فيها الأساليب والكلمات التى يراد بها فى عرف اللغة حقيقتها، والأخرى التى يراد بها المجاز أو الكناية، وما دامت الآيات والأحاديث المذكورة لا يمكن أن تكون حقيقتها مرادة؛ لإفادتها التشبيه؛ فلماذا لا نذهب إلى المجاز المناسب لجلال الله وعظمته؟ وفى اللغة العربية أمثلة كثيرة لذلك "[4].

---

(١) يس : ٧١.

(٢) الكشاف ٣/٣٣٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٣٦٦، وانظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ٥٩-٦١.

(٤) تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن أيوب ٨٠.

وكذلك كان لتأويل المعتزلة أثره فى اللغة حيث جعلت التراكيب التى أولها المعتزلة فى باب المجاز، وهذا واضح فى كتب البلاغة[١].

(٤) قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[المؤمنون:٢٧].

أهل السنة يثبتون لله صفة العينين على الوجه الذى يليق بذاته. " روى عن ابن عباس فى تفسير (أعيننا) أنه أشار إلى عينيه "[٢].

أما المعتزلة فإنهم يؤولون يقول الزمخشرى فى قوله (بأعيننا): " بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلئونه بعيونهم؛ لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله، ومنه قولهم: عليه من الله عين كالئة "[٣].

(٥) قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧].

أهل السنة يثبتون صفة الوجه لله عز وجل[٤]، على الوجه الذى يليق بذاته سبحانه أما المعتزلة فإنهم يؤولون الوجه بالذات يقول الزمخشرى: " وجه ربك: ذاته؛ والوجه يعبر به عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان؟ "[٥]، ويقول الشريف المرتضى: " لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل (ذى) كما قال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٦] لما كان اسمه غيره "[٧]. ويؤولون الوجه فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾[٨]

---

(١) انظر على سبيل المثال: الإيضاح فى علوم البلاغة ٣٩٧/٢ ، ٣٩٨.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٤١٣/٣.

(٣) الكشاف ٣٠/٣.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ٤١٢/٣، ٤١٣، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٤٠، ٢٤١.

(٥) الكشاف ٤٦/٤.

(٦) الرحمن: ٧٨.

(٧) التفسير والمفسرون ٤٢٦/١ نقلا عن الأمالى للشريف المرتضى.

(٨) الإنسان: ٩.

وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [1] وقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [2] بالثواب والقربة إلى الله والزلفى عنده "[٣].

(٦) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤].

مذهب أهل السنة والجماعة أن الكلام صفة من صفات الله عز وجل وأنه غير مخلوق[٤].

والآية السابقة دليل لهم على إثبات صفة الكلام لله عز وجل؛ حيث أتى بالمصدر المؤكد للفعل الذى يرفع احتمال المجاز، يقول القرطبى: " تكليما: مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول: خلق لنفسه كلاما فى شجرة فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقى الذى يكون به المتكلم متكلماً. قال النحاس: وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا، وأنه لا يجوز فى قول الشاعر: **امتلأ الحوض وقال قطنى**

أن يقول: قال قولا؛ فكذا لما قال: **(تكليما)** وجب أن يكون كلاما على الحقيقة من الكلام الذى يعقل"[٥].

وقال أبوحيان: " هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه، وأكد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه هذا هو الغالب، وقد جاء التأكيد بالمصدر فى المجاز إلا أنه قليل[٦]؛ فمن ذلك قول هند بنت النعمان بن بشير الأنصارى [الطويل]:

---

(١) الليل : ٢٠.

(٢) الروم : ٣٩.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون ٤٢٦/١.

(٤) انظر على سبيل المثال: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى ٧١، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٤/٣، وأعلام الموقعين لابن القيم ٢٦٣/٢، وشرح العقيدة الطحاوية١٨٠، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطى ٧.

(٥) تفسير القرطبى ٢٠١٤/٣.

(٦) انظر: حاشية الصبان ١١٥/٢.

بكى الخز من عوف وأنكر جلده وعجت عجيجا من جذام المطارف

وقال ثعلب: لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلاناً بمعنى: كتبت إليه رقعة، وبعثت إليه رسولاً، فلما قال: (تكليما) لم يكن إلا كلاما مسموعا من الله تعالى "[1].

أما المعتزلة فإن هذه الآية لا تتفق ومذهبهم؛ لذا يحيدون عن القراءة المتواترة هذه، ويقرءون بالقراءة الشاذة التى قرأ بها إبراهيم ويحيى بن وثاب[2] بنصب لفظ الجلالة (اللهَ) على أنه مفعول به، و(موسى) فاعل، "ولقد قال بعضهم لأبى عمرو بن العلاء- أحد القراء السبعة- أريد أن تقرأ: {وكلم الله موسى} بنصب اسم الله؛ ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبوعمرو: هب أنى قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[3]؟! فبهت المعتزلى"[4].

وبعض المعتزلة يبقى اللفظ القرآنى على وضعه المتواتر، ولكنه يحمله على معنى بعيد حتى لا يصطدم مع مذهبه، فيقول: إن (كلم) من الكَلْم بمعنى الجرح، وهذا الرأى ندد به الزمخشرى مع اعتزاليته فقال: "ومن بدع التفاسير أنه من الكلْم، وأن معناه: وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن"[5]

ومن الآيات التى تثبت صفة الكلام لله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [6] [الأعراف:١٤٣].

---

(١) البحر المحيط ٣٩٨/٣.

(٢) انظر: مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٣٠، والكشاف ٥٨٢/١، والبحر المحيط ٣٩٨/٣.

(٣) الأعراف ١٤٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ١٨٢.

(٥) الكشاف ٥٨٢/١.

(٦) الأعراف ١٤٤

هذه الآية دليل ساطع على إثبات صفة الكلام لله {عز وجل}؛ لأنها سيقت مساق الامتنان على موسى عليه السلام باصطفاء الله له، وتخصيصه إياه بالتكليم، وهذا يؤكده بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[1].

أما المعتزلة فيرون أن كلام الله مخلوق؛ حيث كلم الله موسى " من غير واسطة كما يكلم الملك، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح، وروى أن موسى عليه السلام كان يسمع الكلام من كل جهة "[2]. هذا الكلام غير مقبول؛ لأن سياق الآية يبين أن الكلام كلام حقيقي ليس مخلوقاً؛ لأنها " سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه إياه بتكليمه، وكذلك قال تعالى بعد آيات منها: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[3]. فلو كان تكليم الله له بمعنى خلق الحروف والأصوات في بعض الأجرام واستماع موسى لذلك لكان كل أحد يساوي موسى عليه السلام في ذلك، بل كان آحاد أصحاب النبي ﷺ آثر بهذه المزية، وأحق بالخصوصية من موسى عليه السلام؛ لأنهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من أفضل الأجرام وأزكاها خلقا في رسول الله ﷺ وكانت مزيتهم أظهر، وخصوصيتهم أوفر، ونحن نعلم ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى عليه السلام بهذه المزية، فلا يحمل لذلك إلا اعتقاد أنه سمع الكلام القديم القائم بذات الله- سبحانه وتعالى- بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها"[4]. وقد استدل المعتزلة على خلق القرآن بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5]، حيث قالوا:

---

(١) الأعراف ١٤٤.

(٢) الكشاف ٢/١١٢،١١١.

(٣) الأعراف ١٤٤.

(٤) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير المالكي بهامش الكشاف ٢/١١٢،١١١.

(٥) الرعد : ١٦.

القرآن شيء؛ لذلك هو داخل فى عموم (كل)، ومادام داخلا فى عموم (كل) فهو مخلوق.

وقد رد أهل السنة على ذلك بأن عموم (كل) فى كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾[1]، " ومساكنهم شيء، ولم تدخل فى عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة، وما يستحق التدمير. وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام"[3].

وكذلك قوله تعالى مخبرا عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ﴾[4]، " ولم يؤتيا سماء ولا أرضا، ولا شمسا ولا قمرا، ولا جنة ولا نارا، ولا ملائكة، ولا عرشا، ولا غير ذلك، وإنما أراد أوتينا من كل شيء ينبغى لمثلنا "[5]، والمراد من قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [6] أى كل شيء مخلوق. ومن الأدلة التى استدل بها المعتزلة على خلق القرآن قوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾[7] قالوا: "المجعول مخلوق، بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [8]؛ أى خلقنا.

فالجواب من **ثلاثة أوجه:**

---

(١) الأحقاف : ٢٥.

(٢) النمل : ٢٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١٨٥.

(٤) النمل : ٢٢.

(٥) الإنصاف للباقلانى ٧٣.

(٦) الرعد : ١٦.

(٧) الزخرف : ٣.

(٨) الأنبياء : ٣٠.

" **أحدها:** أن معنى ذلك: إنما سميناه قرآنا عربيا، والجعل يكون بمعنى التسمية، بدليل قوله- عز وجل- ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [1] يعنى: سموه؛ فبعضهم سماه شعرا، وبعضهم سحرا، وبعضهم كهانة، إلى غير ذلك، ولم يرد أنهم خلقوه...

الجواب الثانى: أنه أراد: إنا جعلنا قراءته وتلاوته بلسان العرب، وأفهمنا أحكامه، والمراد به باللسان العربى، وتكون الفائدة فى ذلك الفرق بينه وبين التوراة والإنجيل؛ لأنه جعل تلاوة الكتابين المذكورين وإفهام أحكامهما باللسان العبرانى والسريانى، وجعل تلاوة هذا الكتاب، وإفهام أحكامه، والمراد به بلسان العرب...

والجواب الثالث: أن الجعل إذا عدى إلى مفعول واحد كان ظاهره الخلق، وإذا عدى إلى مفعولين كان ظاهره الحكم والتسمية فى أكثر الاستعمال؛ ولذلك لا يجوز أن يقول القائل: جعلت النجم والرجل، ويسكت حتى يصله بقوله: جعلت النجم هاديا ودليلا، وجعلت الرجل صديقا وصاحبا؛ فلما قال الله تعالى:**{إنا جعلناه قرآنا عربيا}** تعدى إلى مفعولين، فيكون بمعنى الحكم والتسمية[2].

(٧) قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣].

يستدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة دون الكافرين "[3]. أما المعتزلة فإن عقيدتهم تنكر ذلك؛ لذا أولوا الآيات التى استدل بها أهل السنة والجماعة على الرؤية؛ فمثلا يؤولون قوله تعالى: **{إلى ربها ناظرة}** تأويلا يتناسب مع عقيدتهم؛ حيث أوله بعضهم على تقدير محذوف، تقديره: إلى ثواب ربها ناظرة[4].

---

(١) الحجر : ٩١.

(٢) الإنصاف للباقلانى ٧٥،٧٦، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ١٨٦.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للإمام النووى ١٥/٣.

(٤) انظر: التفسير والمفسرون ٤٠٦/١، ٤١٢، ٤١٣.

ومنهم من حمل قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا﴾على أنه أراد: نعمة ربها، وعلل ذلك بأن الآلاء: النعم؛ والآلاء فى واحدها أربع لغات: أَلى مثل: قفا، وأَلِى مثل: رَمِى، وإِلَى مثل: مِعَى، وإِلِى مثل: حِنِى. وأراد تعالى **{إلى ربها}** فأسقط التنوين للإضافة[1]. أما الزمخشرى فإنه يؤول قوله تعالى: **{ناظرة}** بالتوقع والرجاء[2].

ومن الآيات الدالة على جواز رؤية الله تعالى عند أهل السنة قوله- سبحانه- فى قصة موسى- عليه السلام- ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [3]، أما المعتزلة فإنهم يردون ذلك بأن الله- عز وجل- قال فى الآية نفسها ﴿لَن تَرَانِي﴾ و(لن) تفيد تأبيد النفى، وهذا يدل على نفى الرؤية فى الآخرة. وكلامهم مردود؛ لأن (لن) لا تفيد تأبيد النفى، قال ابن مالك {المتوفى٦٧٢هـ}:

ومن رأى النفى بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

وقال ابن هشام (المتوفى٧٦١هـ): " ولا تفيد (لن) توكيد النفى خلافا للزمخشرى" فى كشافه[4]، ولا تأبيده خلافا له فى أنموذجه[5]، وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم فى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [6].

ولكان ذكر الأبد فى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [7] تكرارا والأصل عدمه"[8].

ومن الأدلة على أن (لن) لا تفيد النفى المؤبد "أنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفى فى الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون١/٤١٣.

(٢) انظر: الكشاف ٤/١٩٢.

(٣) الأعراف : ١٤٣.

(٤) الكشاف ١/٢٤٨، ٢/١١٣.

(٥) شرح الأنموذج فى النحو ١٩٠.

(٦) مريم : ٢٦.

(٧) البقرة : ٩٥.

(٨) مغنى اللبيب ١/٢٨٤.

[البقرة:٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف:٧٧]؛ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[يوسف:٨٠]، فثبت أن (لن) لا تقتضى النفى المؤبد"(١).

ويقول الزمخشرى: " فإن قلت: الرؤية عين النظر، فكيف قيل: أرنى أنظر إليك؟ قلت: معنى أرنى نفسك: اجعلنى متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لى فأنظر إليك وأراك. فإن قلت: فكيف قال ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل: لن تنظر إلى...؟

قلت: "لما قال **{أرنى}** بمعنى اجعلنى متمكنا من الرؤية التى هى الإدراك، علم أن الطلبة هى الرؤية لا النظر الذى لا إدراك معه، فقيل: لن ترانى، ولم يقل: لن تنظر إلى"(٢).

الزمخشرى يتفنن بأسلوبه اللغوى لإيجاد فرق بين الرؤية والنظر؛ حيث يجعل الرؤية هى الإدراك، ويجعلها مغايرة للنظر؛ ليجعل الآية تتفق ومذهبه فى عدم رؤية الله عز وجل.

ولو أنعمنا النظر فى كلام الزمخشرى لعرفنا خطله؛ لأن الرؤية هى "النظر بالعين والقلب"(٣) أما الإدراك فهو بلوغ أقصى الشىء(4)، أو" هو الإحاطة بالشىء، وهو قدر زائد على الرؤية "(٥).

والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(٦)، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية بل نفى الإدراك.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٨،٢٠٧.

(٢) الكشاف ١١٢/٢.

(٣) لسان العرب (رأى) ١٥٣٧/٣.

(٤) انظر: المفردات فى غريب القرآن١٦٨.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٨، وانظر: الإنصاف للباقلانى ١٨٣.

(٦) الشعراء : ٦٢،٦١.

ودليل آخر من الآية نفسها هو أن الله- عز وجل- علق الرؤية على أمر جائز؛ وهو قوله ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ولو كانت مستحيلة لما علقها على أمر يجوز أن يوجد "[1].

(٨) قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥].

الاستواء عند السلف له أربعة معان هى: استقر، وعلا، وصعد، وارتفع قال ابن القيم رحمه الله[2]:

ولهم عبارات عليها أربع	**قد حصلت للفارس الطعان**
وهى استقر وقد علا وقد ار	**تفع الذى ما فيه من نكران**
وكذاك قد صعد الذى هو رابع	**وأبوعبيدة صاحب الشيبان**
يختار هذا القول فى تفسيره	**أدرى من الجهمى بالقرآن**
والأشعرى يقول تفسير استوى	**بحقيقة استولى على الأكوان**

والاستواء نوعان: مطلق ومقيد: " فالمطلق ما لم يقيد بحرف؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾[3] ومعناه كمل وتم. وأما المقيد فثلاثة أقسام: مقيد بإلى؛ كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[4] ومعناه العلو بإجماع السلف. والثانى مُقيد بعلى؛ كقوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾[5] وقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[6] وقوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾[7] فهذا معناه العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة. والثالث: المقرون بواو المعية؛ كقولهم:

---

(١) انظر: الإنصاف للباقلانى ١٧٩.

(٢) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية ٨١، ٨٢.

(٣) القصص : ١٤.

(٤) البقرة : ٢٩.

(٥) الزخرف : ١٣.

(٦) هود : ٤٤.

(٧) الفتح : ٢٩.

استوى الماء والخشبة، ومعناه: ساواها"[1].

أما المعتزلة فقد أولوا الاستواء بالاستيلاء مستدلين بقول الشاعر(الرجز):

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

وهذا التأويل " لا يدخل فى اسم التأويل؛ لأنه لا دليل عليه ألبتة، وإنما يسمى فى اصطلاح أهل الأصول لعبا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله- جل وعلا- من غير دليل ولا مستند، فهذا النوع لا يجوز؛ لأنه تهجم على كلام رب العالمين، والقاعدة المعروفة عند علماء السلف أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه"[2].

ويصرف الزمخشرى الآية عن الحقيقة إلى المجاز ليتفق مع معتقده يقول: "لما كان الاستواء على العرش، وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك، وإن لم يقعد على السرير ألبتة، وقالوه أيضاً لشهرته فى ذلك المعنى، ومساواته ملك فى مؤداه، وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر، ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، بمعنى أنه جواد أو بخيل. لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت: حتى إن من لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم تكن له يد رأسا قيل فيه: يده مبسوطة؛ لمساواته عندهم قولهم: هو جواد..."[3]. والقول فى الآية ما قاله الإمام مالك رضي الله عنه " الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[4] " وما قاله أبوعمر الطلمنكى فى كتاب الأصول: "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته. وقال فى هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية ٨٢.

(٢) منهج ودراسات الأسماء والصفات ١٩.

(٣) الكشاف ٢/٥٣٠.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٩٥.

المجاز"[1]، والأصل: " أن يوجه كلام الله على الأشهر والأظهر من وجوهه، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات "[2].

(٩) قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ البقرة. ٢١٠.

وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨]. وقال عز من قائل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢].

مذهب أهل السنة والجماعة إثبات الإتيان والمجيء والنزول لله- سبحانه وتعالى- على ما يليق به؛ لأن هذه الصفات من الأفعال الاختيارية المتعلقة بالمشيئة والقدرة[3].

أما المعتزلة فإنهم يؤولون هذه الصفات ويجعلونها من قبيل المجاز يقول الزمخشرى فى الآية الأولى:"إتيان الله: إتيان أمره وبأسه؛ كقوله ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [4] ﴿جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾[5] ويجوز أن يكون المأتى به محذوفاً؛ بمعنى: أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله: **(فإن الله عزيز حكيم)**".[6] ويقول فى الآية الثانية: "أو يأتى ربك: أو يأتى كل آيات ربك بدليل قوله: **(أو يأتى بعض آيات ربك)** يريد آيات القيامة والهلاك الكلى، وبعض الآيات أشراط الساعة؛ كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك"[7] ويقول فى الآية الثالثة "فإن قلت: ما معنى

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٥٢٦، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٢٦٠، ٢٦١.

(٢) ابن القيم من آثاره العلمية د. أحمد ماهر البقرى ١٠٢.

(٣) انظر: مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية ٥٥.

(٤) هود ٧٦.

(٥) الأنعام ٤٣، والأعراف ٥.

(٦) الكشاف ١/٣٥٣.

(٧) الكشاف ٢/٦٣.

إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان فى جهة؟ قلت: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبين آثار قهره وسلطانه، مثلت حاله فى ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة، والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم"[1]

أهل السنة والجماعة جعلوا الآيات من قبيل الحقيقة، والمعتزلة جعلوها من قبيل المجاز؛ لتتفق مع عقيدتهم.

(١٠) قال الله تعالى:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥].

أهل السنة والجماعة يؤمنون بوجود كرسى حقيقة؛ لورود الأحاديث الصحيحة المثبتة له؛ من ذلك[2]:

- عن ابن عباس قال: سئل النبىﷺ عن قول الله- عز وجل- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قال: كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل".
- قال رسول الله ﷺ : " ما السموات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس ".
- عن أبى ذر الغفارى أنه سأل النبىﷺ عن الكرسى فقال رسول اللهﷺ: " والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة ".

أما المعتزلة فإنهم يؤولون؛ فمرة يجعلون الكرسى بمعنى العلم، وثانية بمعنى الملك، وثالثة يجعلونه مجازاً عن العظمة؛ فالفريق الذى يجعله بمعنى العلم يأتون على ذلك بشاهد لم يعرف" وهو قول الشاعر[البسيط]:

---

(١) الكشاف ٤/٢٥٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٠٩، ٣١٠.

ولا يكرسئ علم الله مخلوق.

كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق، والكرسى غير مهموز، ويكرسئ مهموز يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيا أو سريرا"[١].

ويذكر الزمخشرى أن فى قوله **{وسع كرسيه}** أربعة أوجه فيقول: ":

أحدها: أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا تصوير لعظمته، وتخييل فقط، ولا كرسى ثمة ولا قعود ولاقاعد؛ كقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [٢] من غير تصور قبضة وطى ويمين، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه، وتمثيل حسى، ألا ترى إلى قوله: ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ؟.

والثانى: وسع علمه، وسمى العلم كرسيا تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم.

والثالث: وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك.

والرابع: ما روى أنه خلق كرسيا هو بين يدى العرش دونه السموات والأرض، وهو إلى العرش كأصغر شىء"[٣].

والصحيح أن الكرسى فى اللغة" الشىء الذى يعتمد عليه ويجلس عليه... وروى أبوعمرو عن ثعلب أنه قال: الكرسى ما تعرفه العرب من كراسى الملوك"[٤]، وهذا ما قال به أهل السنة والجماعة أما المعتزلة فإنهم أولوا الكرسى بما يتناسب مع عقيدتهم.

ثانيا: العدل:

المسلمون جميعا يؤمنون بعدل الله، لكن المعتزلة تعمقوا فى فهمه وشققوا منه عدة مباحث؛ حيث إنهم "اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها،

---

(١) تأويل مختلف الحديث ٤٦، وانظر: الزينة فى الكلمات الإسلامية والعربية ١٥١/٢.

(٢) الزمر : ٦٧.

(٣) الكشاف ٣٨٥/١، ٣٨٦.

(٤) لسان العرب [ك ر س] ٣٨٥٥/٥.

مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا فى الدار الآخرة. والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلاً. واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأما الأصلح واللطف ففى وجوبه خلاف عندهم. وسموا هذا النمط عدلا"[1].

وإليك توضيح هذا الأصل بمباحثه من خلال التطبيق **على آيات القرآن الكريم:**

(١) قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [الصافات ٩٥،٩٦].

مذهب أهل السنة والجماعة على أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل. والآية الثانية حجة لهم؛ لأن معناها: والله خلقكم وأعمالكم، على إعراب (ما) مصدرية[2].

أما المعتزلة فيعتقدون أن العبد هو خالق لأفعاله؛ لذا يعربون (ما) موصولة لا مصدرية؛ يقول الزمخشرى: يعنى خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام؛ كقوله: ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾[3] أى فطر الأصنام.

فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم؛ حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا؟ قلت: هذا كما يقال: عمل النجار الباب والكرسى، وعمل الصائغ السوار والخلخال، والمراد عمل أشكال هذه الأشياء، وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال؛ فخالق جواهرها الله، وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم، وحذفهم بعض أجزائها حتى يستوى التشكيل الذى يريدونه. فإن

---

(١) الملل والنحل ٦٦/١.

(٢) انظر: الفتوحات الإلهية ٥٤٤/٣.

(٣) الأنبياء : ٥٦.

قلت: فما أنكرت أن تكون (ما) مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة؟[1]

قلت: أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا، وينبو عنه نبوا ظاهرا؛ وذلك أن الله- عز وجل- قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله، فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذى عمل صورة المعبود، وشكله، ولولاه لما قدر أن يصور نفسه، ويشكلها، ولو قلت: والله خلقكم، وخلق عملكم، لم تكن محتجا عليهم، ولا كان لكلامك طباق، وشيء آخر؛ وهو أن قوله(**ما تعملون**) ترجمة عن قوله (**ما تنحتون**). و(**ما**) فى(**ما تنحتون**) موصولة لا مقال فيها، فلا يَعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر فى علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن. فإن قلت: أجعلها موصولة حتى لا يلزمنى ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم؟ قلت: بل الإلزامان فى عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق؛ وذلك أنك- وإن جعلتها موصولة فإنك فى إرادتك بها العمل- غير محتج على المشركين كحالك، وقد جعلتها مصدرية، وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين(**ما تعملون**) و(**ما تنحتون**) حتى تخالف بين المرادين بهما، فتريد بما تنحتون الأعيان التى هى الأصنام، وبما تعملون المعانى التى هى الأعمال، وفى ذلك فلك النظم، وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية"[2].

الزمخشرى جعل (**ما**) موصولة؛ ليكون معنى الآية متفقا مع اعتقاده؛ لذلك جعل معناها: والله خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام، ولو جعلت (**ما**) مصدرية لكان المعنى: والله خلقكم وعملكم، وهذا يصطدم مع اعتقاده؛ لذلك رد هذا الإعراب بأن معنى الآية ينبو عنه نبوا ظاهرا ورجح إعرابها موصولة، يقول ابن المنير المالكى رادا على الزمخشرى: " أما قوله: إنها موصولة، وأن

---

(١) يقصد أهل السنة والجماعة.

(٢) الكشاف ٣/٣٤٥- ٣٤٧.

المراد بعملهم لها عمل أشكالها، فمخالف للظاهر؛ فإنه مفتقر إلى حذف مضاف فى موضع اليأس يكون تقديره: والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته، بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتقر إلى حذف ألبتة "[1].

وأما احتجاج الزمخشرى بأن **(ما)** فى قوله: **(ما تنحتون)** موصولة لا مقال فيها، ويقول: لا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه- فمردود عليه بأن لنا أن" نحمل الأولى على أنها مصدرية، وأنهم فى الحقيقة إنما عبدوا نحتهم؛ لأن هذه الأصنام، وهى حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها؛ ففى الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذى هو عملهم، فالمطابقة إذًا حاصلة، والإلزام على هذا أبلغ وأمتن"[2].

(٢) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

يعتقد المعتزلة" أن الله لا يريد الشر ولا يأمر به؛ فقد أراد ما كان من الأعمال خيرا أن يكون، وما كان شرا ألا يكون، وما لم يكن خيرا ولا شرا فهو تعالى لا يريده ولا يكرهه.

معنى هذا أن الله مريد لما أمر به من الطاعات أن يكون؛ فهو يريد منا الصلاة والزكاة، ولا يريد منا المعاصى، وأما المباحات فلا يريدها ولا يكرهها.

وأما غير المعتزلة فيعتقدون أن الله مريد لجميع ما كان غير مريد لما لم يكن، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"[3].

والآية تتعارض مع اعتقاد المعتزلة؛ لذا انبرى الزمخشرى مؤولا لها بما يوافق العقيدة الاعتزالية، يقول: "لعلكم تتقون: لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم؛ لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة، وحمله على أن يخلقهم

---

(١) الإنصاف بهامش الكشاف ٣/٣٤٦.

(٢) الإنصاف بهامش الكشاف ٣/٣٤٦.

(٣) الزمخشرى للدكتور أحمد محمد الحوفى ١٣٨، ومنهج الزمخشرى فى تفسير القرآن ١٢١.

راجين للتقوى ليس بسديد أيضا، ولكن (لعل) واقعة فى الآية موقع المجاز لا الحقيقة؛ لأن الله- عز وجل- خلق عباده؛ ليتعبدهم بالتكليف، وركب فيهم العقول والشهوات، وأزاح العلة فى إقدارهم وتمكينهم، وهداهم النجدين، ووضع فى أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى، فهم فى صورة المرجو منهم أن يتقوا؛ ليترجح أمرهم، وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وألا يفعل، ومصداقه قوله عز وجل: **{ليبلوكم أيكم أحسن عملا}**[1] وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب، ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار"[2].

صرف الزمخشرى (لعل) المفيدة للترجى إلى المجاز؛ لأن إبقاءها على أصلها يتنافى مع العقيدة الاعتزالية، التى ترى أن العبد مختار، وأن الله لا يريد منه إلا فعل الخير.

و(لعل) فى كلام الله تعالى للعلماء فيها ثلاثة أقوال:

"**الأول**- أن(لعل) على بابها من الترجى والتوقع؛ والترجى والتوقع إنما هو فى حيز البشر؛ فكأنه قيل لهم: افعلوا ذلك على الرجاء منكم، والطمع ... أن تتقوا؛ هذا قول سيبويه، ورؤساء اللسان؛ قال سيبويه فى قوله عز وجل: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3] قال معناه: اذهبا على طمعكما ورجائكما أن يتذكر أو يخشى؛ واختار هذا القول أبو المعالى.

الثانى- أن العرب استعملت (لعل) مجردة من الشك بمعنى لام كى؛ فالمعنى... لتتقوا؛ وعلى ذلك يدل قول الشاعر [الطويل]:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا ... نكف ووثقتم لنا كل موثق

فلما كففنا الحرب كانت عهودكم ... كلمع سراب فى الملا متألق

---

(١) الملك : ٢.

(٢) الكشاف ١/٢٣١،٢٣٠.

(٣) طه : ٤٤،٤٣.

المعنى: كفوا الحروب لنكف، ولو كانت (لعل) هنا شكا لم يوثقوا لهم كل موثق؛ وهذا القول عن قطرب والطبرى.

الثالث– أن تكون (لعل) بمعنى التعرض للشيء؛ كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرضين... لأن تتقوا"[1].

و(لعل) فى الآية على أصلها للترجى والإطماع، وليست بمعنى كى يقول أبوحيان: "وليست (لعل) هنا بمعنى (كى)؛ لأنه قول مرغوب عنه، ولكنها للترجى والإطماع، وهو بالنسبة إلى المخاطبين؛ لأن الترجى لا يقع من الله تعالى؛ إذ هو عالم الغيب والشهادة، وهى متعلقة بقوله: **(اعبدوا ربكم)** فكأنه قال: إذا عبدتم ربكم رجوتم التقوى؛ وهى التى تحصل بها الوقاية من النار، والفوز بالجنة"[2].

(٣) قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٤٨].

يحمل الزمخشرى (لعل) فى الآية السابقة على الإرادة كى تتفق مع عقيدته، يقول:"إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان. فإن قلت: لو أراد رجوعهم لكان. قلت: إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده، فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد، وإلا دار بين أن يوجد وبين ألا يوجد على حسب اختيار المكلف، وإنما لم يكن الرجوع؛ لأن الإرادة لم تكن قسراً، ولم يختاروه"[3].

أما أهل السنة فيقولون: " إن (لعل) حيثما وردت فى سياق كلام الله تعالى، فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين؛ أى ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق، وعليه تأول سيبويه ما ورد".[4]

(٤) قال تعالى:﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:٣].

---

(١) تفسير القرطبى ١٩٥/١، ١٩٦، وانظر: الفتوحات الإلهية ٢٦/١.

(٢) البحر المحيط ٩٥/١.

(٣) الكشاف ٤٩١/٣.

(٤) الإنصاف بهامش الكشاف ٤٩٢/٣.

الرزق عند أهل السنة " ما صح الانتفاع به، حلالاً كان، أو حراماً، خلافاً للمعتزلة فى قولهم: إن الحرام ليس برزق؛ لأنه لا يصح تملكه، وإن الله لا يرزق الحرام، وإنما يرزق الحلال، والرزق لا يكون إلا بمعنى الملك "(١).

يقول الزمخشرى: " وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال المطلق، الذى يستأهل أن يضاف إلى الله، ويسمى رزقاً منه "(٢).

ويقول فى قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ (٣): " مما رزقناهم من الحلال؛ لأن الحرام لا يكون رزقاً، ولا يسند إلى الله "(٤).

يخصص الزمخشرى الرزق، فيجعله خاصًا بالحلال فقط، ويفسره بمعنى الملك كما هو معتقده، أما أهل السنة فيرون أن الرزق هو ما يصح الانتفاع به؛ لذا يطلقونه على الحلال والحرام. وقول أهل السنة هو الصحيح حيث تؤيده اللغة يقول ابن منظور: "والرزق: ما ينتفع به(٥)" أى: إن الرزق عام يعم الحلال والحرام، وليس خاصًا كما يعتقد المعتزلة.

والقرآن الكريم يؤيد أهل السنة كذلك قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٧)، وقال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(٨).

(٥) قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[الفرقان: ٣١].

---

(١) تفسير القرطبى ١/١٥٤.

(٢) الكشاف ١/١٣٢.

(٣) الرعد : ٢٢.

(٤) الكشاف ٢/٣٥٧.

(٥) لسان العرب (رزق) ٣/١٦٣٧.

(٦) فاطر: ٣.

(٧) الذاريات: ٥٨.

(٨) هود: ٦.

هذه الآية يتعارض ظاهرها مع ما يعتقده المعتزلة من وجوب الصلاح والأصلح على الله؛ لذلك يفسرون (جعل) بمعنى (بين) لا بمعنى (خلق) ويستدلون على ذلك بقول الشاعر [الطويل]:

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا على ثبت من أمرهم حين يمموا

فيكون المعنى على هذا: أن الله سبحانه بين لكل نبى عدوه حتى يأخذ حذره منه[1].

(٦) قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:٤١].

يؤول الزمخشرى (جعل) فى الآية حتى تستقيم مع العقيدة الاعتزالية فيقول: " فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾؟ قلت: معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة، وهو من قولك: جعله بخيلاً وفاسقاً إذا دعاه، وقال: إنه بخيل وفاسق. ويقول أهل اللغة فى تفسير فسقه وبخله: جعله بخيلاً وفاسقاً؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾[2]...

ويجوز: خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر..."[3]

الزمخشرى يجعل (جعل) مرة بمعنى: دعا، وأخرى:يؤولها بالخذلان، وهو منع الألطاف. كل هذا؛ ليفر "من اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى".[4]

والصواب أن (جعل) فى الآية بمعنى "صير" لا بمعنى: دعا، ولا خذل.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون ١/٣٨٤.

(٢) الزخرف ١٩..

(٣) الكشاف ٣/١٨٠.

(٤) الإنصاف بهامش الكشاف ٣/١٨٠.

(٧) قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[طه:٨٨].

ظاهر الآية يخالف اعتقاد المعتزلة، الذين يعتقدون بأن أعمال الله معللة، ويقصد منها نفع العباد، وصلاحهم. ومن المعتزلة من قال: إنه يجب على الله أن يعمل ما فيه صلاح لعباده، ومنهم من لم يكتف بذلك بل قال: يجب رعاية ما هو الأصلح، وجمهورهم على أنه يرعى ما هو الأصلح[١].

وهذه الآية تخالف هذا الاعتقاد؛ لذلك بين الزمخشرى أن خلق العجل محنة لبنى إسرائيل يقول: "فإن قلت: فلم خلق الله العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى إسرائيل وضلالاً؟ قلت: ليس بأول محنة محن الله بها عباده؛ ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا، ويضل الله الظالمين. ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب، والمراد بقوله {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ}[٢] هو خلق العجل للامتحان؛ أى: امتحناهم بخلق العجل"[٣].

(٨) قال تعالى:﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة٧].

هذه الآية "أول دليل وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان[4]"، ورد على المعتزلة الذين يقولون: "الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال عند خلق العبد الضلال فى نفسه. وهذا مبنى على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم"[5].

---

(١) انظر: الزمخشرى للحوفى ١٤٠، ومنهج الزمخشرى فى تفسير القرآن١١٥.

(٢) طه : ٨٥.

(٣) الكشاف ٢/٥٥٠.

(٤) تفسير القرطبى١/١٦٢.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية١٥٥.

وهذه الآية الختم فيها مسند إلى الله سبحانه نصاً، وهذا لا يتفق والمذهب الاعتزالى؛ لذلك تأول الزمخشرى[1] وغيره من المعتزلة هذا الإسناد، ما ملخصه:

"**الأول**- أن الختم كنى به عند الوصف الذى صار كالخلقى، وكأنهم جبلوا عليه، وصار كأن الله هو الذى فعل بهم ذلك.

الثانى- أنه من باب التمثيل؛ كقولهم: طارت به العنقاء؛ إذا أطال الغيبة وكأنهم مثلت حال قلوبهم بحال قلوب ختم الله عليها.

الثالث- أنه نسبه إلى السبب؛ لما كان الله هو الذى أقدر الشيطان ومكنه أسند إليه الختم.

الرابع- أنهم لما كانوا مقطوعًا بهم أنهم لا يؤمنون طوعًا، ولم يبق طريق إيمانهم إلا بإلجاء وقسر، وترك القسر، عَبر عن تركه بالختم.

الخامس- أن يكون حكاية لما يقوله الكفار تهكما؛ كقولهم:﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾[2].

السادس- أن الختم منه على قلوبهم هو الشهادة منه بأنهم لا يؤمنون.

السابع- أنها فى قوم مخصوصين فعل ذلك بهم فى الدنيا عقابا عاجلاً؛ كما عجل لكثير من الكفار عقوبات فى الدنيا.

الثامن- أن يكون ذلك فعله بهم من غير أن يحول بينهم وبين الإيمان؛ لضيق صدورهم عقوبة غير مانعة من الإيمان.

التاسع- أن يفعل بهم ذلك فى الآخرة؛ لقوله تعالى﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[3].

---

(١) الكشاف١/١٥٧-١٦٣.

(٢) فصلت : ٥.

(٣) الإسراء : ٩٧.

العاشر- ما حكى عن الحسن البصرى، وهو اختيار أبى على الجبائى والقاضى أن ذلك سمة وعلامة يجعلها الله تعالى فى قلب الكافر، وسمعه، تستدل بذلك الملائكة على أنهم كفار، وأنهم لا يؤمنون"[1].

كل هذه التأويلات التى أولها الزمخشرى؛ ليبعد الآية عن دلالتها الحقيقية؛ وهى أن الله- عز وجل- خالق الهدى، والضلال، بل خالق أفعال العباد كلها قال سبحانه: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[3].

لكن اعتقاد المعتزلة يأبى ذلك؛ لذلك يؤولون النصوص الواضحة؛ لتستقيم مع عقيدتهم.

(٩) قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة:٢٧٢].

هذه الآية تؤيد مذهب أهل السنة فى أن الله هو الذى يخلق الهدى لمن يشاء هداه، أما المعتزلة فإنهم يعتقدون أن الهدى ليس خلق الله، وإنما العبد يخلقه لنفسه؛ لذلك يؤول الزمخشرى الآية بما يتفق ومذهبه فيقول: "ليس عليك هداهم: لا يجب أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب(ولكن الله يهدى من يشاء) يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه، فينتهى عما نهى الله عنه"[4].

الزمخشرى" لم يحمل الهدى فى الموضعين على الإيمان المقابل للضلال، وإنما حمله على هدى خاص، وهو خلاف الظاهر"[5] لتستقيم الآية مع معتقده. وهذا ديدن الزمخشرى فى كل آية من القرآن الكريم تنص على أن الهدى من

---

(١) البحر المحيط ٤٨/١.

(٢) الرعد : ١٦، والزمر : ٦٢.

(٣) فاطر : ٣.

(٤) الكشاف ٣٩٧/١.

(٥) البحر المحيط ٣٢٦/٢.

خلق الله، يؤولها باللطف، والتى تنص على أن الضلال من خلق الله يؤولها بمنع اللطف[1].

(١٠) قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٨].

يخصص القاضى عبدالجبار الهدى والضلال فى الآية بأن يجعل الهدى إلى الثواب، والضلال عن الثواب حتى تستقيم الآية مع عقيدته الاعتزالية، فيقول: " وربما قيل فى قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أليس ذلك يدل على أنه يخلق الهدى والضلال؟

وجوابنا: أن المراد: من يهد الله إلى الجنة والثواب فهو المهتدى فى الدنيا، ومن يضلل عن الثواب إلى العقاب فأولئك هم الخاسرون فى الدنيا، وسبيل ذلك أن يكون بعثا من الله تعالى على الطاعة، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾[2] المراد: من يضلله عن الثواب فى الآخرة فلا هادى له إليه، وإن كنا قد أزحنا العلة، وسهلنا السبيل إلى الطاعة"[3].

(١١) قال تعالى: ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾[الحج: ١٦].

يؤول القاضى عبدالجبار الفعل (يهدى) بأن يجعله بمعنى يكلف حتى تستقيم الآية مع عقيدته، فيقول: "وربما قيل فى قوله تعالى: **(وأن الله يهدى من يريد)** إن ذلك يدل على أنه يهدى قوما دون قوم بخلاف قولكم: إن الهدى عام، وجوابنا: أن المراد: يكلف من يريد؛ لأن فى الناس من لا يبلغه حد التكليف، أو يحتمل أن يريد الهداية إلى الثواب؛ لأنها خاصة فى المطيعين دون العصاة..."[4].

---

(١) انظر: الكشاف ٤١٣/١، ٤٠٩/٢، ٣٦٧، ٧٩، ٤٩، ١٧، ١٨٥/٣.

(٢) الأعراف : ١٨٦.

(٣) التفسير والمفسرون ٤٠٣/١، ٤٠٤ نقلا عن تنزيه القرآن عن المطاعن.

(٤) التفسير والمفسرون ٤٠٤/١ نقلا عن تنزيه القرآن عن المطاعن.

(١٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الأنعام:١١١].

مذهب أهل السنة والجماعة أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن يقول الإمام الطحاوى: " وكل شيء يجرى بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن"(١).

أما المعتزلة فإنهم يزعمون "أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر؛ فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا"(٢)؛ ولذلك يجعل الزمخشرى المشيئة فى القرآن الكريم مشيئة إكراه واضطرار، يقول فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: " مشيئة إكراه واضطرار"(٣)، وهذا غير مراد فى الآية" بل المراد: إلا أن يشاء الله منهم اختيار الإيمان، فإنه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للإيمان لاختاروه وآمنوا حتما، ما شاء الله كان"(٤).

** ** ** **

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٥٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١٥٣.

(٣) الكشاف ٤٥/٢، وانظر: ٤٢٧/٢،٤٢٦،٤٠٣،٢٩٨،٢٥٤.

(٤) الإنصاف بهامش الكشاف ٤٦/٢،٤٥.

الخلاصة

وضح من خلال هذا الكتاب الأثر الكبير للعقيدة فى اللغة؛ حيث إن المعتزلة باعتقادهم الذى اعتقدوه فى الأصلين المدروسين: التوحيد والعدل، كان له أثره الواضح فى اللغة؛ وتم ذلك بصرف اللفظ عن معناه الواضح إلى معنى آخر، أو الحكم على اللفظ أو الجملة بالمجاز دون الحقيقة. كل هذا ليستقيم النص مع العقيدة.

مما سبق أرى أن تدرس الخلافات النحوية وبخاصة ما كان بين مدرستى البصرة والكوفة دراسة قوامها النظر فى أسباب الخلاف هل هو عقدى؟ وإن كان عقديًا أخذ برأى أهل السنة والجماعة، وطرح الرأى المعارض جانبا؛ وبذلك تخلص النحو من كثير من الخلافات التى ترهق الدارسين ولا قيمة لها.

وأرى أيضا أن يدرس موضوع الحقيقة والمجاز فى القرآن الكريم خاصة ما كان منه متعلقا بصفات البارى- عز وجل- ويؤخذ بمذهب أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة.

** ** ** **

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن القيم من آثاره العلمية، للدكتور أحمد ماهر البقرى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣- أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، للشيخ أحمد حسن الباقورى، ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.

٤- أصول العقيدة الإسلامية، التى قررها الإمام الطحاوى مع منتخبات اختارها عبدالمنعم صالح العلى العزى، ط١، دارالبشير، طنطا ١٩٩٩م.

٥- أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، شرح وتحقيق رضوان جامع رضوان، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٦- الانتصار لأبى الحسن الخياط، طبعة القاهرة ١٩٢٥م.

٧- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير المالكى، بهامش الكشاف، دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ).

٨- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لأبى بكر بن الطيب الباقلانى، تحقيق وتعليق المحقق الحجة الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، ط٢، مؤسسة الخانجى، القاهرة ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

٩- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبى البركات عبدالرحمن ابن محمد بن أبى سعيد الأنبارى، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٨٢م.

١٠- الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى، ط٥، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١١- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، ط٢، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٢- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان(بدون).

١٣- تبسيط العقائد الإسلامية للشيخ حسن أيوب، ط٧، دارالتراث العربى، القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٤- تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى، إعداد وتحقيق/ خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، ط١، دارالمعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دارالتراث، القاهرة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٦- تفسير القرطبى[الجامع لأحكام القرآن]، دارالريان للتراث، القاهرة (بدون).
١٧- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى، ط٦، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٨- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، (بدون تاريخ).
١٩- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى، ط٤، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٠- الزمخشرى للدكتور أحمد محمد الحوفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
٢١- الزينة فى الكلمات الإسلامية والعربية لأبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى، عارضه بأصوله وعلق عليه/ حسين بن فيض الله الهمذانى، تحقيق الدكتور/ عبدالله سلوم السامرائى، القاهرة ١٩٥٦م.
٢٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، الرياض (بدون تاريخ).
٢٣- شرح الأنموذج فى النحو للزمخشرى، بشرح الأردبيلى، حققه وعلق عليه الدكتور/ حسنى عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٠م.
٢٤- شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى، ط٤، المكتب الإسلامى، بيروت ١٣٩١هـ.
٢٥- الصاحبى فى فقه اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة ١٩٧٧م.
٢٦- صحيح مسلم بشرح النووى، مكتبة الغزالى، دمشق، ومؤسسة مناهل العرفان، بيروت (بدون تاريخ).
٢٧- علم اللغة الاجتماعى مدخل للدكتور كمال محمد بشر، ط٣، دارغريب، القاهرة ١٩٩٧م.
٢٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ط٦، المدينة المنورة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٢٩- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للشيخ سليمان بن عمر العجيلى، الشهير بالجمل، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى (بدون تاريخ).
٣٠- الكشاف للزمخشرى، دارالفكر، بيروت (بدون تاريخ).
٣١- لسان العرب لابن منظور، دارالمعارف، القاهرة.
٣٢- اللغة ج. فندريس، تعريب عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠م.
٣٣- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى، ط٢، ١٣٩٩هـ.
٣٤- مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان، ط١٠، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٣٥- مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، عنى بنشره ج.برجشتراسر، مكتبة المتنبى، القاهرة (بدون تاريخ).
٣٦- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الجيل- بيروت (بدون تاريخ).
٣٧- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى، تحقيق الشيخ/ محمد محيى الدين عبدالحميد، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده (بدون تاريخ).
٣٨- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى، تحقيق وضبط سيد كيلانى، الطبعة الأخيرة مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
٣٩- الملل والنحل للشهرستانى، تحقيق محمد فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (بدون تاريخ).
٤٠- منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الصاوى الجوينى، ط٣، دار المعارف ١٩٨٤.
٤١- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطى طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٠هـ.
٤٢- المولد دراسة فى نمو وتطور اللغة بعد الإسلام للدكتور/ حلمى خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

** ** ** **